THE SWEET SMELL OF CHRIST

by

IGNATIUS ZAKKA I IWAS

Patriarch of Antioch and All the East
Supreme Head of the Universal Syrian Orthodox Church

Damascus Syria
1984

مطابع ألف باء الأديب
دمشق

ܒܝܬ ܡܪ̈ܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܘ̈ܨܪܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܒܝܬ ܕܝ̈ܢܐ
ܘܕܚܝܠܐ ܡܢ ܒ̈ܢܝ ܡܩܕܫܐ ܘܓܢܒܐ ܕܢܣܒ ܢܫܠ ܐܘ
ܟܠ ܠܗ ܚܪܡܐ ܠܐ ܢܣܒ ܢܗܘܐ ܠܗ ܚܪܡܐ ܥܠ
ܓܢܒܘܬܗ ܒܟܠ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܒܝܬܗ ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

رائحة المسيح الذكية

ܪܝܚܐ ܒܣܝܡܐ ܕܡܫܝܚܐ

تأليف

مار اغناطيوس زكا الأول عيواص

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

للسريان الأرثوذكس

[illegible]
[illegible]

دمشق ـ ١٩٨٤

جميع الحقوق محفوظة

★ ★ ★

١٥٠٠ نسخة/١٢/١٩٨٤

الطبعة الأولى

مطابع ألف باء ـ الأديب ـ دمشق

الناشر : **بطريركية السريان الأرثوذكس** ـ دمشق

تصميم الغلاف : أكرم أفدار

ܡܥܠܬܐ

ܠܘܪ̈ܝܬܐ ܢܣܩ ܠܠܫܢܐ ܘܐܡܪܝܢ :
ܘܠܐ ܒܥܒܪܐ ، ܕܡܫܚܠܦ ܡܬܚܕܬܢܘܬܐ ܘܒܟܠ ܐܝܟ ܠܗ ܒܡܫܡܥܬܐ ܕܚܝܐ ܕܒܢܝܐ . ܒܪ ܠܡܫܠܡܘܬܗ ܣܘܟܠ ܠܗܘܢ ܕܗܘܘ ܠܗ ܣܘܥܪܢܐ ܐܦ ܒܚܝܐ ܕܥܠܡܐ .

ܒܡܘܬܒܐ ܗܢܐ ܡܫܡܫܢܐ ܘܡܫܠܡܢܐ ܕܢܘܚ ܘܡܩܦܐ ، ܕܗܘܐ ܒܗ ܐܝܟ ܠܗܘܢ ܒܡܬܚܕܬܢܘܬܐ ܗܘܐ ܕܫܠܡܘ ܒܚܪܢܐ .
ܘܡܛܠ ܗܢܐ ܘܗܫܐ ܗܘܢ ، ܡܥܘܕܐ ܕܡܫܠܡܢܐ ܘܡܣܢܐ ܠܡܫܡܫܢܐ ܕܢܣܒܐ ܒܫܪܒܐ ܘܒܬܫܒܘܚܬܐ ܕܐܒܗ̈ܬܐ ܩܕ̈ܝܫܐ .

ܡܫܘܚܬܐ ܗܕܐ ܡܡܘܢܝܬܐ ܒܥܘܠܝܗܘܢ ܒܣܦܪܐ ܗܠܝܢ ܦܠܓ̈ܐ ܕܫܡܥ ܠܒܢ̈ܝܢܫܐ ܢܘܗܪܐ ܕܗܠܝܢ ܐܟܬܒܬܐ ܘܡܫܩ̈ܠܐ ܘܡܫܘܕ̈ܥܐ ܘܡܬܩ̈ܢܐ ܐܦ ܝܬܝܪ ܢܦܩܬܐ . ܒܪ ܠܗܘܢ ܒܥܘܕܐ ܘܠܘܡܫܟܐ ܠܗܘ ܠܠܡܫܟܢܐ ܗܠܝܢ ܕܐܢ̈ܫܝܢ ܡܫܘܠܛܐ ܘܡܫܬܥܐ ܕܥܘܕܐ ܡܫܡܠܝܐ . ܡܫܬܘܕܥܐ ܗܕܐ ܡܫܩܠܢܝܐ ܡܢܐ ܕܠܟܘܢ ܘܢܬܐܡܪ ܠܟܬܒܬܐ ܕܡܫܟܢܐ ܗܠܝܢ ܒܪܗ ܠܐܟܬܒܬܐ .

ܥܡܐ ܕܝܢ܆ ܒܙܒܢܐ ܗܘܐ܆ ܟܒܝܫ ܠܥܒܕܘܬܐ
ܕܐܢܫܝܢ ܡܢ ܐܚܪ̈ܢܐ ܘܡܫܝܢܬܐ ܘܡܬܕܝܫ
ܒܡܪܕܘܬܐ ܕܫܝܢܬܐ ܘܡܫܬܥܒܕܬܐ܆ ܐܦ ܥܡܠܝܢ ܒܡܪ̈ܝܪܬܐ
ܡܢ ܟܠܗ ܕܪ̈ܐ ܕܒܗ ܐܬܟܒܫ܆ ܘܩܝܡܝܢ ܗܘܘ ܕܢܦܩܘܢ
ܘܢܬܦܨܘܢ ܡܢ ܥܡܠܐ ܗܢܐ ܘܢܬܚܪܪܘܢ ܡܢ ܫܥܒܘܕܐ
ܡܨܪܝܐ܀

ܡܣܩܬܐ ܕܝܢ ܕܐܘܪܗܝ ܗܘܬ ܒܝܘܡܝ ܐܝܟ ܡܢ ܐܠܗܐ
ܕܢܬܚܪܪ ܘܢܦܩܘܢ ܡܢ ܥܒܕܘܬܐ ܘܫܥܒܘܕܐ܀ ܟܕ
ܗܘ ܡܘܫܐ ܪܥܐ ܗܘܐ ܥܢܐ ܘܐܬܐ ܠܛܘܪܐ
ܘܚܙܐ ܒܣܢܝܐ ܢܘܪܐ ܕܝܩܕܐ ܐܝܟܢܐ ܕܐܡܪ ܟܬܒܐ
ܩܕܝܫܐ ܠܗܠܝܢ ܡܠ̈ܐ ܡܘܫܐ ܢܒܝܐ܆ ((
ܘܐܬܚܙܝ ܠܗ ܡܠܐܟܐ ܕܡܪܝܐ ܒܢܘܪܐ ܕܝܩܕܐ ܒܣܢܝܐ܆
ܘܣܢܝܐ ܝܩܕ ܗܘܐ ܘܠܐ ܐܟܠ)) (ܒ ܡܦܩ̈ ܓ: ܒ)܀

ܟܕ ܕܝܢ ܚܙܐ ܠܡܚܙܝܬܐ ܗܕܐ ܬܡܗ܆ ܘܩܪܒ
ܕܢܚܙܐ ܘܢܬܒܩܐ ܒܚܙܘܐ ܗܢܐ ܕܠܐ ܝܕܥ܆ ܟܕ ܩܪܒ
ܢܦܩ ܡܢ ܒܝܬ ܣܢܝܐ ܩܠܐ ܕܐܡܪ ܠܗ܆
ܘܐܘܕܥܗ ܠܗ ܥܠ ܫܡܗ ܘܫܘܠܛܢܗ܆ ܘܐܡܪ
ܠܐܠܗܐ ܕܐܒܗ̈ܘܗܝ ܐܒܪܗܡ ܘܐܝܣܚܩ ܘܝܥܩܘܒ܆ ܘܟܕ
ܫܡܥ ܡܘܫܐ ܐܬܬܙܝܥ ܘܟܣܝ ܐܦ̈ܘܗܝ܆
ܘܕܚܠ ܕܢܚܪ ܒܐܠܗܐ ܒܢܘܪܐ ܕܝܩܕܐ܀

ܘܫܡܥ ܗܘܐ ܩܠܐ ܕܐܠܗܐ ܕܐܡܪ ܠܗ ܕܢܚܬ
ܢܦܩ ܠܥܡܐ ܕܝܠܗ܆ ܘܢܫܘܙܒ ܐܢܘܢ ܡܢ ܫܥܒܘܕܐ܆
ܢܣܩ ܐܢܘܢ ܠܐܪܥܐ ܛܒܬܐ ܘܢܬܚܪܪܘܢ ܐܝܟ ܕܐܡܪ܀

تمهيد

التأمل بقصص القديسين

بعد حمد الله تعالى ، نقول :

لا يخفى ما للمطالعة من تأثير بالغ في البناء الفكري للانسان ، اذ تطبع سلوكه اليومي بطابع خاص ، فينعكس ذلك على مجتمعه سلباً أم ايجاباً ، بمقدار قيمة المادة التي طالع ، ونوعيتها ومدى ملامستها أعماق الذات البشرية .

وهنا يبرز واضحاً دور أصحاب الأقلام والموجهين الروحيين والاجتماعيين في اعداد الانتاج الصالح وتقديمه للقارىء بأسلوب سهل ممتنع وهادف الى تقدم المجتمع الانساني نحو الخير والعطاء .

وأفضل ما يفعله المسؤول الروحي المسيحي في هذا الميدان هو توجيه المؤمنين الى التأمل بسيَر القديسين بعيداً عن الأوهام والمبالغات .

☐ قصص القديسين في الأدب السرياني :

ولا نغالي اذا قلنا ان الأدب السرياني المسيحي زاخر بالقصص الشائقة سواء وضعت أصلا بالسريانية أم نقلت اليها ليجتني المؤمنون منها فوائد روحية جليلة ... تلك

القصص التي تناقلتها الألسن وتوارثتها الأجيال ودوّن جزء كبير منها في عصر أبطالها أو بعدهم بمدة قصيرة ، وهي تتناول سير بعض الآباء الأولين ورجالات الكنيسة الميامين والشهداء والمعترفين والقديسين والنسّاك الفضلاء والنسوة الفاضلات ·

ولا ينكر ما طرأ على بعض هذه القصص من زيادة أو نقصان أتياها عن طريق الكتّاب والنسّاخ الذين أرخوا لمخيلتهم العنان ، فسبحت في أجواء الخيال وأضافت الى الحوادث أخباراً هي أقرب الى الأساطير منها الى الواقع التاريخي · ومع كل ذلك ، فبامكان المؤرخ المدقق الذي يهمه كثيراً تحري الحقيقة أن يقع عليها مجردة ، فيقبلها وحدها ويرفض سواها ··

وها نحن في هذا الكتاب نقدم للقراء الأعزاء نخبة من قصص بديعة ، هي سير لبعض القديسين والقديسات ، ضمّنتها المخطوطات السريانية القديمة التي اعتمدناها في كتابة هذه القصص ، كما اعتمدنا مصادر أخرى بالعربية والانكليزية ، وتحرّينا النصوص متجنبين المبالغات والزيادات التي طرأت عليها بفعل النسّاخ البسطاء ···

وكل من هذه القصص ، يعتبر رواية حقيقية تاريخية نقية من الشوائب، ولئن كانت مليئة بأخبار العجائب والمعجزات، فليس هذا غريباً عن روح الانجيل وسير الرسل والآباء والحياة المسيحية ··

□ القديسون هم رائحة المسيح الذكية :

ان أبطال هذه القصص وشخصياتها، انتخبهم الله ليصيروا نبراساً في الفضائل بطهارة السريرة وقداسة السيرة ، وقد أظهروا في حياتهم على الأرض سيرة الرب يسوع بالجسد ·

فالاقتداء بهم ينفع المؤمنين للبلوغ الى ينابيع الخلاص اذ أن هؤلاء القديسين اقتدوا بالرب يسوع ، وهذا ما عناه كاتب الرسالة الى العبرانيين بقوله :

« اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله ٠ انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بايمانهم ـ عب ١٣ : ٧ » ٠

ويقول الرسول بولس : « حاملين في الجسد كل حين اماتة الرب يسوع لكي تَظهَر حياة يسوع أيضاً في جسدنا ـ ٢ كو ٤ : ١٠ » ٠ « فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا ذبيحة لله رائحة طيبة » (اف ٥ : ٢) ٠

« ولكن شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان ٠ لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون » (٢ كو ٢ : ١٤ و ١٥) ٠

☐ القديسون مثال لنا في الحياة :

فما أطيب أخبار القديسين في مسامع المؤمنين الصالحين ! وما ألذ قصصهم تسرد في مجالس الأتقياء أو تقرأ بتأمل في مخادع الصدّيقين ، فتكون وازعاً لهم على مواصلة مسيرتهم المقدسة في طريق البر ومخافة الرب ٠

ان كنيستنا السريانية المقدسة غنية جداً بقديسيها ، وقد دوّنت أسماءهم الكريمة بأحرف من نور في أنصع صفحات تاريخها المجيد٠ ونحن اليوم بأمس الحاجة الى فتح هذه السجلات عملا بوصية الرب يسوع القائل : « وليس أحد يوقد سراجاً

ويغطيه باناء أو يضعه تحت سرير بل يضعه على منارة لينظر الداخلون النور » (لو ٨ : ١٦ و ١١ : ٣٣) فالقديسون هم مختارو الرب الذين يتم فيهم قوله : « أنتم نور العالم » (مت ٥ : ١٤) ففي سردنا أخبارهم وتأملنا سيرهم نزيح الستار عن دقائق حياتهم المقدسة كما فعل كاتب الرسالة الى العبرانيين بقوله : « وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزني الوقت إن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء الذين بالايمان قهروا ممالك ، صنعوا بِراً ، نالوا مواعيد ، سدوا أفواه أسود ، أطفأوا قوة النار ، نَجوا من حد السيف ، تقووا من ضعف ، صاروا أشداء في الحرب ، هزموا جيوش غرباء ·· وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم ·· » (عب ١١ : ٣٢ ـ ٣٨) ·

وفي رواية أخبار القديسين ، ودراسة ما انتهت اليه حياتهم ، يشعر المؤمنون بأنهم محاطون بعناية الرب الذي لم يترك أتقياءه دون رعاية ولم يهمل المتكلين عليه بل يصونهم في كل حين لئلا يوقَع بهم ، وهو حصنهم الحصين ، وحارسهم الأمين ، وعينه الساهرة ترمقهم · فاذا دمعت عينا أحد الأتقياء في سبيل المسيح ، ابتسمت شفتاه وهو يرى الرب عن يمينه يشجعه ويعزيه ويعطيه الطوبى التي أعطاها للمضطهدين من أجل ابن الانسان بقوله : « طوباكم اذا أبغضكم الناس واذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الانسان ، افرحوا في ذلك اليوم وتهللوا فهو ذا أجركم عظيم في السماء لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء »(لو ٦ : ٢٢ و ٢٣) · فلا مهرب للبار من المصائب والمصاعب والتجارب « وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع

يضطهدون » (٢ تي ٣ : ١٢) وقد وضع الرب يسوع شرطاً للتلمذة له بقوله : « ان أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني ، فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها » (مت ١٦ : ٢٤ و ٢٥) ٠

وقد أمرنا الرب أن ندخل من الباب الضيق ، وأن نسلك الطريق الصعبة ٠ والرسول بولس يوصي تلميذه طيمثاوس أن « يتحمل المشقات كجندي صالح للمسيح يسوع»(٢تي٢:٣)٠

وفي تأملنا سير هؤلاء الصدّيقين والصدّيقات نمجد الله الذي اصطفاهم ، وساعدهم في جهادهم فغلبوا ابليس ،وانتصروا على العالم ، وصار ذكرهم للبركة (أم ١٠ : ٧) لأنهم زهدوا في الدنيا وعاشوا كما يحق لانجيل المسيح (في ١ : ٢٧) وكانوا حجارة حية في جسد المسيح السري الذي هو الكنيسة،بل أظهروا بسيرتهم الطاهرة سيرة المسيح يسوع على الأرض ، لذلك فالتأمل في أغوار حياتهم يبعث فينا روح القداسة ، فقد كانوا بشراً مثلنا تحت الآلام والتجارب ، وغلبوا ابليس ، فنحن أيضاً ، رُغم ضعفنا ، يمكننا ، بقوة الرب أن نكون مثلهم ، ولكن لو عقدنا الآن المقارنة بيننا وبينهم لرأينا الفرق الشاسع بين ما كانوا عليه من ايمان ورجاء ومحبة وما نحن عليه اليوم من نكران وأثرة وأنانية ٠ فقد أنكروا ذواتهم ، واعتبروا عار المسيح أفضل من أمجاد العالم لأن « العالم يمضي وشهواته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت الى الأبد » (١ يو ٢ : ١٧) ٠ لقد كانوا أعضاء في الكنيسة المجاهدة على الأرض ، كما نحن الآن ،

وانتصروا ، وانتقلوا الى السماء ، فانضموا الى كنيسة الأبكار حائزين على اكليل البر الذي يهبه الرب الديان العادل يوم مجيئه الثاني لكل من ينتظر هذا المجيء بسهر ٠

ان الشركة القائمة بين الكنيستين المجاهدة في الأرض والمنتصرة في السماء تجعل من الكنيستين كنيسة واحدةتشترك بتمجيد الله ليل نهار ٠ فبدراستنا قصص القديسين وسير النساك والعوابد نشعر بشركتنا معهم في العائلة الواحدة ، أي الكنيسة التي أسسها الرب في الأرض وتمتد جذورها فيها ، أما أغصانها فتسمو شامخة نحو السماء بل تبلغ عرش العظمة في العلاء ٠ لأن هذه الكنيسة هي جسد المسيح السري ورأسها المسيح يسوع الجالس عن يمين العظمة،وحجارتها همالقديسون المكتوبة أسماؤهم في السماء (رؤ ١٧ : ٨) ٠

أن دراسة تاريخ هؤلاء الأبطال الروحيين هي دراسة تاريخ الحياة المسيحية ومعرفة ذلك جيداً يساعدنا على اعداد أنفسنا لمجابهة كل ما يحيق بنا في حياتنا الروحية منصعوبات٠

وعندما ندوّن سيرهم وننشرها متأملين في دقائق مراحل حياتهم ونقائص بعضهم كبشر ، وعودتهم الى الله بالتوبةالنصوح نقتدي بهم لأن سيرهم تتلألأ قداسة ، فقد عاشوا السماء وهم على الأرض واستحقوا التطويبات التي أعطاها الرب:للمساكين بالروح ، للحزانى ، للودعاء ، للجياع والعطاش الى البر ، للرحماء ، لأنقياء القلب ولصانعي السلام وللمطرودين منأجل البر (متى ٥ : ٣ ـ ١٢) ، وهم الفَعَلة الأمناء

الذين يعملــون في كرم مسيحنــا ، والمعترفـون الصابرون المعلنـون ايمـان إلهنــا ، والشهــداء البسـلاء الذيــن سفكوا دماءهم دفاعاً عن العقيدة المسيحية السمحة ٠٠ فسقت دماؤهم الأرض وكانت بذاراً صالحاً للايمان القويم ، كما قال الآباء القديسون ، فأتت بثمار شهية ٠

نسأل الله أن يجعل هــذه القصص سبب بركة للقــراء ، ليتمثلوا بسيَر هؤلاء القديسين السالكين على خطى يسوع، ويحظوا مثلهم بالنعيم الأبدي الذي لا يوصف ٠ ٠

دمشق في ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٤

المؤلــف

★ ★ ★

قصة أهل الكهف*

في المصادر السريانية

☐ مصادر القصة :

من القصص التاريخية الرائعة التي وصلت الينا بلغة سريانية أصيلة ، نثراً ونظماً ، قصة أهل الكهف . فقدتناولتها أقلام مؤرخينا الثقات كزكريا الفصيح (٥٣٦ +) ويوحنا الافسسي (٥٨٧ +) والراهب الزوقنيني (عام ٧٧٥) وغيرهم . فدونوا تفاصيل حوادثها نثراً بنزاهة مجردةوأسلوب سلس . كما نظم فيها الملفان مار يعقوب السروجي (٥٢١ +) قصيدة عصماء على الوزن السباعي ، تقع في أربعة وسبعين بيتاً .

وما حداني الى أن أمعن في دراسة قصة أهل الكهف هو أهميتها التاريخية . فعكفت على دراستها دراسة مديدة ، وحققت النصين النثري والشعري على نسخ عديدة قديمة وحديثة ، ونقلتها الى العربية ، كما قمت بزيارتين لأنقاض مدينة أفسس في تركية ورسومها ، حيث جرت حوادث القصة .

---

* عربناها عن السريانية ونشرناها أولا على صفحات مجلتنا البطريركية في العددين ٦٦ و ٦٧ السنة السابعة عام ١٩٦٩ . ثم نشرناها مستقلة بكراس عام ١٩٨٠ .

وجمعت الأصول والوثائق وأشبعتها درساً وتمحيصاً • فخرجت ببحث مسهب وأصدرته ككتاب ، وأكتفي ههنا بنشر ترجمة نص القصة النثري فقط ، ناشداً بذلك فائدة القراء الأعزاء، ومتوخياً اصلاح ما علق بالأذهان من أمور لا تمت الى حقائق التاريخ ومنطق الواقع بشيء •

☐ تعريب النص النثري للقصة :

عندما ملك داقيوس(١) الأثيم ، جاء من قرطاجنة الى بيزنطيا(٢) وافسس(٣) واستولى على الكنائس كلها ،فتفرقت جموع المؤمنين خوفاً منه ، وهرب الكهنة والاخوة فزعاً ،وازداد طغيانه عند دخوله الى مدينة افسس ، فشيَّد في وسطها مذابح للاصنام معتزاً بالوثنية ، وأصدر أمره الى أشراف المدينة بنحر

---

١ ـ DECIUS تربع داقيوس على عرش الامبراطورية الرومانية سنة ٢٥٠ م واضطهد النصرانية وقتل بعد سنة واحدة فقط في حربه مع القوط • (المترجم)

٢ ـ BYZANCE بيزنطيا : مدينة قديمة أسسها الاغريق على ضفتي البوسفور في القرن السابع قبل الميلاد ، جعلها الملك قسطنطين من عواصم الامبراطورية الرومانية بعد أن أسماها باسمه القسطنطينية سنة ٣٣٠ م • فتحهاالعثمانيون سنة ١٤٥٣ م وسميت استنبول • (المترجم)

٣ ـ EPHESUS افسس : مدينة اغريقية قديمة تقع على الشاطىء الغربي من آسيا الصغرى • اشتهرت قبل الميلاد بمينائها وتجارتها الرابحة وبهيكل ارطاميس • بشرها بالدين المسيحي ، الرسول بولس سنة ٥٤ م وتلمذ أهلها • كتب اليها رسالة سنة ٦١ م • واصبحت فيما بعد ، أحد مراكز المسيحية المهمة • عقد فيها المجمع المسكوني الثالث الذي حرم نسطور وبدعته سنة ٤٣١ م• انحسر عنها البحر فزال مجدها الاقتصادي ولم يبق فيها اليوم سوىالانقاض • وبقربها بلدة تركية أيضاً اسمها اياسلوك • يقصدها السواح لمشاهدة ما شخص من آثارها الوثنية والمسيحية خاصة شوارع افسس القديمة ، وهيكل أرطاميس ، وكاتدرائية مار يوحنا ، وكهوف أهل الكهف وغيرها • (المترجم)

الذبائح للأوثان ، وكان يطلي بدمها اجسادهم ، فانصاعت له جموع غفيرة كانت تتقاطر يومياً من كل فج عميق ، قاصدة مركز افسس المدينة التي أضحت غيوم دخان المحرقات المتصاعدة منها تتلبد في سمائها فتخيم عليها بدكنة من الظلام الفاحم يحجب عن الأنظار الأسوار المحتاطة بها ·

اضطرب المؤمنون من رؤية هذا المحفل المظلم واستولى عليهم القلق الشديد والحزن العميق ، وذلّوا وتواروا عن الأنظار خافضي الجناح ، وأخفوا وجوههم بحجُب خوفا من المضطهدين · ومما زاد في الطين بلة والطنبور رنة ، أن الملك أسرع في اصدار أمره في اليوم الثالث ، من بدء المحفل ، بالقاء القبض على المسيحيين · فاستعان الجند بالوثنيين واليهود الذين رافقوهم ، فأخرجوا المؤمنين من الخبايا والملاجيء وجروهم الى حيث كان الملك مجتمعاً مع الشعب لتقديم الذبائح · فالذين هلعت قلوبهم وفزعت من شدة العذاب ورهبة ظلال الموت، زلقت أقدامهم عن الحق فهووا من علياء حياة الايمان المجيدة الى هوة النكران ، وخارت عزائمهم سريعاً ، فقدموا الذبائح على مرأى من كل انسان · أما المؤمنون ففي الوقت الذي أحزنتهم آخبار سقوط اخوتهم ، وملأت الكآبة قلوبهم لخسارة أرواح الجبناء، كانوا في سبيل الايمان بالمسيح ، يجابهون آلام الزمن العصيب القاسي بفائق شجاعة ، ثابتين على صخرة الحق غير متزعزعين · فكانت سهام ابليس المتقدة تتكسر على أجسامهم كأنها على درع منيع ، وهم يجابهون الضيقات والشدائد بتجلد متين ، وصبر جميل · وكانت أجزاء من أجسادهم البهية ، تُلقى نفايات على الأرض حسبما يزعمون !! وأعضاؤهم الطاهرة تقطّع وتعلّق على البروج ومرتفعات الأسوار ، وهاماتهم الكريمة تعرض على دعائم خشبية نُصبت على كل باب من أبواب المدينة ·

وكانت الغربان وأضرابهامن النسور والعقبان وسائر الجوارح تجتمع على جثث القديسين ورفاتهم وتتغذى بها ، وتحمل بعضا منها وهي طائرة في سماء المدينة · فكان الحزن الجسيم يحز في نفوس المؤمنين الغيارى على هذه الأشلاء الطاهرة · واستحوذ الخوف عليهم وتملكهم الفزع والهلع · يا لللجهاد العجيب الذي يرعب قلب من يشاهده ! ! يا للصراع المدهش الذي حيَّر الملائكة والبشر معا !! ألا ان أسس المباني والصروح الشامخة شكت متزلزلة مولولة من الكوارث العظمى التي حدثت في داخلها ! ! وسقوف الدور ندبت وتجلدت وكادت تهوي أرضاً من هول قعقعة الآلام الشديدة التي اصطدمت بها · وكانت أسواق المدينة كئيبة وهي تندب سحل جثث المسيحيين عليها · وكانت الدموع الغزيرة تنهمر من مآقي المؤمنين حزناً وأسى وهم يشاهدون أجساد أحبائهم تنقضّ عليها الجوارح الكواسر بمختلف أجناسها · آلا يحق للأسوار أن تميد وتكاد تسقط من قوة أجساد القديسين المجمَّعة المكوّمة فوقها ! ؟ أوَ في النفوس البشرية البرّة حزن يضاهي هذا الحزن ! وهل من كآبة أعظم من هذه الكآبة ! ؟ يا للعجب العجاب! حتى المؤمنون ، اذاماالتجأ أحدهم الى رفيقه مستغيثاً، عله يخلص من أيدي الطغاة ، لايلقى حمى · فقدانكر الآباءالأبناءوتنكرالأبناءللآباء،وتحاشى الأصدقاء لقاء أصدقائهم لشدة الضيق المحدق بهم جميعاً · واعترف بالايمان بالمسيح المؤمنون الحقيقيون فثبتوا صابرين على الشدائد غير مبالين بالتجربة القاسية ، فتمجد اسم الرب بسببهم ·

وكان مكسيمليانوس ويمليخا ومرتيلوس وديونيسيوس ويؤانس وسرافيون وقسطنطينوس وانطونينوس ثابتين على

صخـــرة الايمـــان بابن الله ، وحاملين سمة صليبـــه المقـــدس في أجسادهم وهم يشاهدون يومياً ما جريات(٤) الأمور المحزنة ، ويتنهدون متألمين ، فكمدت سيماؤهم ، وتغضنت مناظرهم حزنا وأسى ، وخبا نور بهاء طلعتهم . وذبل منظرهم . وهم يواصلون السهر والصوم والصلاة ومناجاة الله بالطلبات • واذ كانـــوا رؤساء مشهورين في المدينة ويلازمون البلاط الملكي ، فعندما كان الملك والجموع يضحون الأضاحي للأصنام كانوا هم يدخلون قاعة المكتبة خلسة ويخرّون على وجوههم أمام الله ويمرّغون رؤوسهم بالتراب بتضرعات وبكاء • وتفقدهم رفاقهم أعداء الحق • فلم يشاهدوهم بينهم أمام الأصنـــام • وعندما دخلوا القصر عثروا عليهم راكعين على الأرض يصلّون بدموع سخية فوشوا بهم لدى الملك الطاغية قائلين أيهـــا الملك العظيم ، في الوقت الذي تدعو جلالتك القاصين ليقدموا الذبائح للالهـــة هوذا الأدنون يستخفّون بأوامر جلالتـــك ويخدعون جندك ويقيمون شعائر الصلاة المسيحية في مخبأ داخل قصرك ،ورئيس هؤلاء هو مكسيمليانوس ابن الوالي وأصحابه من رؤساء هذه المدينة المشهورين •

فاستشاط الملك غضباً ، وأحضر الفتية أمامه وهم يجهشون بالبكاء وشعر رؤوسهم معفر بالتراب وقال لهم : ماالذي منعكم من الحضور معنا في أثناء تقديمنا والشعب كله الذبائح التامة للآلهة ؟ فاذ انكم لم تنضموا في حينه الى صفوف رؤساء وأهل هذه المدينة ، فتقدموا الآن وتمثلوا بهم بتقديم الذبائح اللائقة بالآلهة بابتهاج • فأجاب مكسيمليانوس وقال : نحن لنا اله

---

٤ ـ **الماجريات هي الحوادث ، والكلمة محدثة مأخوذة من قولهم : جرى ما جرى يقال : « كانت بينهم مناظرات وماجريات يطول شرحها » •**

جبار غير منظور ، السماء والأرض مملوءتان من جلال ذاتـه الالهية ، له وحده نقدم ذبائح ايماننا الطاهرة الخفية وبخور تمجيد ألسنتنا بضمائر صافية نقية ، وطلبات متواصلة متتالية • أما الأصنام فلا نقدم لها بخور الدخان ولا ندنس أرواحنا ونقاء أجسادنا بالذبائح الفاسدة المقدمة للأبالسة • حينئذ كلم الملك كل واحد منهم بالمناوبة على حدة فأقروا بايمانهم كالسابق : فأمر الملك ونزع منهم ربط مناطقهم وقال لهـم : بما انكم لا تؤمنون بآلهة مملكتنـا ، فأنتم مجردون مـن رتب أجنادنا السامية • وإنا لنتيح لكم فرصة تختبرون خلالها بدقة وتفتكرون في أنفسكم بفطنة ، علكم ترجعون عن غيكم ، ثم تمثلون أمامنا ثانية فننظر في مصيركم • وأمر الملك أيضاً فنزعت عن أكتافهم شارات الحرير وأخرجوا من أمامه •

وانطلق داقيوس الملك الى زيارة مدن أخرى مجاورة لافسس على أن يعود اليها ثانية للغاية المذكورة أعلاه •

وكانت الفرصة سانحة ومؤاتية لمكسيمليانوس ورفاقـه ليقرنوا ايمانهم بأعمال الرحمة ، فأخذوا من دور آبائهـم ذهباً ومالا كثيراً وتصدقوا به على الفقراء سراً وعلناً • وتشاوروا فيما بينهم قائلين لنبتعد عن المدينة ولنلتجيء الى الكهف الكبير في جبل انكيلوس(٥) بعيدين عن اضطرابات العالم وما تجلبه علينا معاشرة البشر من قلق وخوف ، ولنمكثن هناك مواظبين على الصلاة غير متقاعسين عـن تمجيد الله ، حتى يعود الملـك فنمثل بين يديه • وليصدر حكمه علينا كما يشاء • ولتكـن ارادة الله تعالى •

---

٥ _ OCHLON .

واذ قرّ رأيهم جميعاً على ذلك أخذوا أكياس دراهمهم وصعدوا الى الكهف في جبل انكيلوس ومكثوا هناك أياما عديدة عابدين الله بصلوات وتضرعات طالبين منه تعالى أن يصونهم ويدفع البلاء عنهم ٠

وكان يمليخا أحد هؤلاء الثمانية ، شابا حكيما وعدّاء . لذلك انتخبوه وكيلا عنهم ، فكان يتشح بأسمال متسوّل متخفيا مزوداً بدراهم فيدخل المدينة ليبتاع لهم الطعام ويتجسس الأخبار مستطلعاً ما يدور في قصر الملك ٠ ويوزع الصدقات على الفقراء ويعود الى رفاقه ، فيخبرهم ما يجري في المدينة ومايقع من أحداث ٠ وذات يوم عاد داقيوس الملك الى افسس وأمر موظفي القصر أن يقدموا الذبائح مع مكسيمليانوس ورفاقه ، فحدث خوف عظيم وترك كثير من المؤمنين المدينة هاربين من الملك ٠

أما يمليخا فخرج منها هلعاً ناجياً لا يلوي على شيء ومعه قليل من الطعام ، وصعد الى الكهف حيث رفاقه وهو مضطرب من شدة الضيقة ، وأخبرهم عن دخول الملك الطاغية الى المدينة وأمره موظفي البلاط كافةوهم من جملتهم كي يضحّوا للأصنام ٠ وعندما سمع رفاقه ذلك تملكهم الخوف وركعوا على الأرض ممرغين وجوههم بالتراب متضرعين الى الله بحزن وكآبة مسلّمين اليه أرواحهم ٠ فانتصب يمليخا ووضع أمامهم الطعام اليسير الذي كان قد ابتاعه لهم وأجلسهم ليأكلوا ويتقووا ويستعدوا لمنازلة الطاغية وعند غروب الشمس تناولوا طعامهم وعيونهم تترقرق بالدموع السخية وقلوبهم تفيض أسى وألماً ٠ وبينما كانوا يتجاذبون أطراف الحديث اذا بأجفانهم عن كآبة تثقل ، واذا بنفوسهم قد لفها الحزن ، وبأفئدتهم قد ذابت ،وأعصابهم

منظر لآثار الكنيسة التي شيدت على المكان الذي رقد فيه أهل الكهف في أفسس

قد ارتخت وتخدرت فاستولى عليهم النعاس . وأمر الاله الرحيم الذي يعتني بالعاملين في كرمه الالهي أن يغشاهم سبات هنيء فرقدوا بهدوء لقصد رباني أعلن بعد سنين بأعجوبة باهرة .

ولم يشعروا بموتهم، ولا بانفصال أرواحهم عن أجسادهم، اذ رقدوا جميعاً على الأرض كالغارقين في سبات عميق ، وسلموا أرواحهم في يد الله وهم يتلون كلمات الايمان به تعالى . وكانت دراهمهم موضوعة في أكياسها على الأرض بجانبهم .

وفي صباح ذلك اليوم أمر الملك أن يمثل الفتية أمامه ، ففتشوا عنهم في البلاط وفي المدينة وضواحيها فلم يعثروا عليهم .

وقال الملك لكبار رجال مملكته لقد آلمني كثيراً هرب الفتية أبناء العظماء اذ قد توهموا اننا قد غضبنا عليهم للذنب الذي اقترفوه • ولم يعلموا أن المغفرة متوفرة لكل من يعود الى الآلهة تائبا • أجاب عظماء المدينة وقالوا للملك : لا تأسف جلالتكم على الفتية المتمردين فقد بلغنا أنهم لا يزالون مصرين على وقاحتهم وقد انتهزوا الفرصة التي أتحتموها لهم ليتوبوا خلالها ، فكمَّلوا ارادتهم الشريرة ووزعوا في أسواق المدينة أموالهم ودراهمهم ، واختفوا ولم يشاهدهم امرؤ قط منذئذ • واذا أمرتم جلالتكم أن يحضروا أمامكم فليلق القبض على آبائهم ويضيّق عليهم الخناق ليطلعوكم على مكان كمينهم •

فاستشاط الملك غضباً عندسماعه هذا الكلام وأرسل رجالا جذبوا أمامه آباء الفتية • فسألهم قائلا : أين هم العصاة الذين فروا من أمام وجه جند مملكتنا ، محتقرين أوامرنا السنية ، مزدرين عبادة الآلهة الموقرة ، وقد قررنا الآن أن نحكم عليكم بالموت بدلا منهم • أجاب هؤلاء قائلين : يا مولانا الملك المعظم: اننا لم نعص أمر جلالتك ولم نرفض عبادة الآلهة المكرمة • وقد بدد الفتية ذهبنا وفضتنا وهم الآن مختفون في كهف في جبل انكيلوس وهو ليس بعيداً عن المدينة كثيراً • ولم نرهم منذ اختفائهم ولا نعلم ان كانوا أحياء أم أمواتاً ، ونحن أيضاً قلقون جداً • فعندما سمع الملك الطاغية احتجاجهم هذا أخلى سبيلهم • وبينما كان يفكر ملياً في العقاب الصارم الذي يوقعه بهم ، ألقى الله في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف بالحجارة فتدفن أجساد القديسين الطاهرة • وتلك ارادة الرب التي لم تأذن للطاغية في أن يحرك أجساد القديسين الراقدين والذين حفظهم الله بمعرفته الأزلية ليكونوا بانبعاثهم مبشرين بالقيامة العامة • وليكونوا بأنفسهم برهاناً ساطعاً يثبت المرتابين •

وقال الملك هذا هو حكمي على أولئك المتمردين اذ قد عصوا أوامري الهينة الخفيفة ، واحتقروا عبادة الآلهة ، فلا طائلة تحتهم لرفع شأن مملكتنا ، فلِمَ يظهرون أمام الآلهة ؟ لذلك فليُسَد في وجوههم باب الكهف الذي التجأوا اليه وليُبنَ بحجارة منحوتة كاملة ولتهلك حياتهم بشقاء في سجن أبدي ٠ وهكذا أصدر الملك أمره السابق ظناً منه ومن أهل المدينة أن المعترفين(٥) كانوا لا يزالون أحياء في كهفهم ٠

وكان انتودوروس واربوس وكيلا الملك ، مسيحيين مؤمنين ، وقد أخفيا عقيدتهما خوفاً من الملك ٠ فتشاورا معاً قائلين : لنكتب صورة ايمان هؤلاء المعترفين بصحائف من رصاص توضع داخل صندوق من نحاس يُختم ويدسّ في البنيان عند مدخل الكهف ، فربما يصدر الأمر الالهي قبل مجيء المخلص ثانية فيفتح الكهف فتكرّم أجساد القديسين الطاهرة ، اذ سيعرف ايمانهم من الكتابة الموجودة على باب الكهف ٠ وشاءت ارادة الله أن ينجز هذان الرجلان المؤمنان ما فكّرا فيه وأن يتأكدا خفية من موضوع الكتابة المختومة ٠

وهلك الملك داقيوس ومضى جيله كله وخلفه على العرش ملوك كثيرون حتى جلس في دست الحكم الملك المؤمن ثيودوسيوس(٦) بن ارقاديوس ٠ وظهرت على عهده بدعة شنيعة

---

٥ ـ المُعتَرِف : هو مَن اعترف بالمسيح بين يدي المضطهد وقد يتحمل العذاب في سبيل ايمانه ولم يستشهد ٠

٦ ـ هو الامبراطور ثيودوسيوس الثاني الملقب بالصغير THEODOSIUS وحفيد ثيودوسيوس الكبير ٠ ملك سنة (٤٠٨) م وكان ورعاً مواظبة على الصوم والصلاة ساعد على توطيد أركان الدين المسيحي في المملكة الرومانية الشرقية كما سعى الى تقوية النصرانية في البلاد الفارسية على يد القديس ماروثا الميافارقيني وتوفي سنة ٤٥٠ م (المترجم) ٠

عكرت صفاء الكنيسة بمحاولتها نقض حقيقة عقيدة القيامة العامة ، واخفاء معالم الوعد الذي منحه السيد المسيح لبيعته ببعث الموتى · وكان الملك المؤمن مضطرباً بما يطرق أذنيه من الخرافات · علاوة على ذلك فقد أبرز الوثنيون في البلاط للملك جهراً كتباً مزورة · كما أن بعض أساقفة ذلك العصر أيضاً الذين كانوا متمرغين في حمأة الفساد ، أضحوا سبب عثرة لكنيسة الله ، وفي مقدمتهم تيودوروس أسقف مدينة غالوس وسواه ممن لا يستحقون أن تذكر أسماؤهم في قصة المعترفين اذ أنهم أضنوا كنيسة الله وأتعبوها ، وعكروا صفاء الايمان بمجادلاتهم العقيمة وأبحاثهم المضلة ·

أما الملك ثيودوسيوس فقد ساورته الشكوك الكثيرة واضطربت نفسه جداً ، كان يذرف الدموع السخينة على ايمان الكنيسة المستقيم الذي كانت تتجاذبه قوتان من قوى الريبة والشك · فقد أنكر بعض الهراطقة قيامة الموتى · وقال آخرون ان الجسد الذي تفسخت أعضاؤه وتبددت لا يحيا ثانية ولا ينبعث ، سوى الروح الذي وحده ينال موعد الحياة · وقد ضل وكذب هؤلاء في ما نطقوا · ولم يفهموا أن الطفل عندما تلده أمه لا يكون عادة روحاً بلا جسد ولا يكون جسداً خالياً من نسمة الحياة · ولقد أظلمت بصائرهم وصُمَّت آذانهم عن سماع كلمات الوعد الالهي التي نطق بها ربنا اذ قال « حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » (يو ٥ : ٢٥) وقد قيل أيضاً : « استيقظوا ترنموا يا سكان التراب » (اش ٢٦ : ٢٩) وقيل: « ها أنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم » (حز ٣٧ : ١٢) ·

أما الهراطقة عديمو الحياة فقد حوّلوا حلاوة الحياة الى علقم أكثر مرارة من نفوسهم وكدروا بالشكوك صفو ضمائر المؤمنين الطاهرة ·

وتبلبلت أفكار الملك ثيودوسيوس ، وشفه الحزن ، وتلبسته الأمراض ، فاتشح بالمسوح ، وافترش الرماد ، أما الاله الرحيم الذي لايسر بهلاك الانسان (حز ١٨ : ٢٣) وحيَدانه عن جادة الحق ، فقد أعاد للضمائر المريضة صحتها ولعقيدة موعد الحياة ثباتها بانبعاث الموتى الذين هيأهم بسابق علمه الالهي ليكونوا بانبعاثهم بمثابة دواء ناجع يبعد عن الكنيسة ما نفث فيها من سموم ، ويعيد اليها صفوها ، ويوطد دعائم بنيانها ، فلا تقوى عليها الأمواج الهائجة المرتطمة بها . وليضيء أمام الملك ثيودوسيوس بنور العزاء فينال اكليل الظفر مع آبائه .

لذلك ألقى الله في نفس أدوليس(٧) صاحب المرعى الذي يقع فيه الكهف حيث رقد المعترفون ، أن يشيد حظيرة الماشية، فشمر عبيد وعمال كثيرون عن سواعد العمل مدة يومين كانوا يقلعون خلالها الحجارة من مداخل القبور ويستعملونها لبنيان الحظيرة ، وهكذا نزعوا الحجارة من باب الكهف أيضاً . فلما انفتح في اليوم التالي ، أمر الاله أن يبعث الفتية الراقدون في الكهف أحياء ، ولا غرو فهو الاله القدير الذي يحيي الموتى ، ويهب نسمة الحياة للجنين المحبوس في بطن أمه ، ذاك الذيجمع أشتات العظام في وسط البقعة وأحياها(حز٣٧:١ـ١٠) والذي بقوته الالهية دعاالعازر من القبر فخرج حياً ملفوفاً بالكفن(يو ١١:١ـ٤٤) هو الاله ذاته شاء أن يعيد بأمره الالهي نسمة الحياة الى أولئك المعترفين الراقدين في ذلك الكهف ، فاستيقظوا وأسارير وجوههم منبسطة ، وسلم بعضهم على بعض كعادتهم صباح كل يوم ، ولم تظهر عليهم علامة الموت ولم تتغير هيئتهم ولاألبستهم التي كانوا متشحين بها منذ رقادهم فظنوا وكأنما قد ناموامساء

---

٧ ـ ADOLIUS .

واستيقظوا صباحاً ودب القلق الى رؤوسهم وتوهموا أن داقيوس الملك لا يزال يطلبهم ، فعادت الكآبة تملأ قلوبهم وانهمرت الدموع من عيونهم وتطلعوا بحزن الى يمليخا وكيلهم وشرعوا يسألونه مستعلمين عما كان يدور في المدينة مساء يومهم السابق. فأجاب يمليخا وقال لهم مثلما ذكرت لكم عشية أمس ان أمراً قد صدر من الملك داقيوس بموجبه يقتضي علينا وعلى موظفي القصر كافة نحر الذبائح للأوثان بحضور الملك . ولا أعلم ماذا سيكون من أمرنا .

قال مكسيمليانوس لصحبه : اخوتي اعلموا اننا سنقف يوماً أمام منبر المسيح الرهيب لذلك يجب ألا نرتعب عند وقوفنا في القضاء أمام الناس ، وأن نفكر بنعمة الحياة التي نلناها بالايمان بابن الله ، ثم قالوا جميعاً ليمليخا لقد آن أوان الغداء فخذ معك فضة وانطلق الى المدينة وأسرع بالعودة الينا بعد أن تستعلم نتائج أوامر الملك داقيوس وتبتاع لنا طعاماً أكثر كمية مما أتيتنا به يوم أمس اذ كان ذلك نزراً يسيراً وقد عضنا الجوع كثيراً . قالوا ذلك ظناً منهم أنهم أصبحوا من ليلتهم التي باتوها .

ونهض يمليخا كعادته صباح كل يوم وأخذ من كيس الفضة قطعاً من فئة الاثنين والستين والأربعة والأربعين مما كان يتداوله الناس من دراهم عصرئذ ، والتي كانت قد ضربت قبل عهد رقاد المعترفين وكان تاريخها ثلاثمئة واثنتين وسبعين سنة قبل استيقاظهم ، وخرج يمليخا من الكهف مبكراً جداً قبل انبلاج نور الصبح ، وتعجب لما رأى الحجارة موضوعة عند بابه ، ولكنه لم يبال بها كثيراً بل انحدر من الجبل واتجه نحو المدينة متحاشياً السبيل المطروق خشية أن يراه أحد فيتحقق هويته ويشي به الى داقيوس قيصر فيأتي به اليه ، ولم يعلم أن عظام

ذلك الأثيم قد بليت في الهاوية فكانت مع الهالكين · وعندما اقترب يمليخا من باب المدينة اندهش جداً اذ رأى علامة الصليب منحوتة في أعلاه وأخذ يسترق النظر متطلعاً الى هنا وهناك متعجباً ، يذرع الأرض خارج السور جيئة وذهاباً مشغول الفكر مستغرباً وتحول الى باب آخر من أبواب المدينة فرأى المنظر ذاته وزاد تعجبه ثم دار حول سور المدينة فرأى أبوابها كلها وقد نحتت عليها علامة الصليب وتطلع الى داخل المدينة فلم يميزها اذ شاهد فيها أبنية جديدةتنكرت له، فملأت الدهشة نفسه وهو يسير كانسان صرعته الخيالات وعاد الى الباب الذي قصده أولا ، وأخذ يفكر بنفسه قائلا : ما هذاالأمر يا ترى ! ؟ هوذا علامة الصليب قد وضعت على أبواب المدينة علانية وقد كانت حتى عشية أمس تخبأ في الظلمة · وأخذ يجمع شتات أفكاره، ويتحسس جسمه ويقول: ألعلني في حلم!؟ وشجع نفسه أخيراً وأخفى رأسه بردائه ودخل المدينة وجعل يمشي في السوق فيسمع الكثيرين عندما يحدث بعضهم بعضاً يقسمون باسم المسيح ، فاختلط عليه الأمر ، وخاف جداً ،وقال في نفسه : ليت شعري ما تفسير هذا الأمر ؟ فعشية أمس لم يكن أحد يجرؤ على التلفظ باسم المسيح جهراً واليوم أسمع ألسنة الناس تلهج باسمه الكريم ! وأخذ يقول في نفسه : ألعل هذه مدينة افسس أم غيرها ؟ فأبنيتها تختلف عن تلك ، وتعابير لغتها أيضاً متغايرة ، لكني لا أعرف ، ولم أشاهد مدينة كهذه بجوار افسس · وبينما كان يمليخا متعجباً لقي شاباً فسأله : أخبرني بربك ما اسم هذه المدينة ؟ أجابه افسس · فزاديمليخا حيرة وقال في نفسه : لعمري لا أعلم ما جرى لي ، هل فقدت عقلي وغاب عني صوابي ؟ الأفضل أن أسرع بالخروج من هذه

المدينة قبل أن يمسني الجنون فأهلك ، أراني قد استولت علي الخيالات وغدوت كالحيران • هذه الأمور تحدث عنها يمليخا عندما صعد الى الكهف عند أصدقائه بعدما أعلنت حادثة بعثهم فدونت بعدئذ في الكتب •

واذ كان يمليخا مسرعاً ليترك المدينة تقدم بزي شحاذ الى الخبازين وأخرج دراهم من جيبه وأعطاها أحدهم فأخذ يتأملها فرآها كبيرة الحجم ويختلف ضرب طابعها عن ضرب طابع الدراهم المتداولة في عصرهم ، فتعجب جداً ، وناولها لزميله ، وهكذا أخذوا يتطارحونها الواحد الى الآخر وهم جالسون على قاعدة مبيع الخبز ، وكانوا يتهامسون ، ويتطلعون الى الرجل، ويقولون انه قد عثر على كنز خبيء من زمن طويل • وارتعدت فرائص يمليخا خوفاً عندما شاهدهم يتشاورون وهم يرنون اليه وظن انهم قد عرفوه وسيأخذونه الى الملك داقيوس ،خاصة وان بعضهم أخذ يتأمل وجهه عن كثب • فقال لهم وقد تملكه الفزع : اني أهب لكم الدراهم ، ولا أريد خبزاً ، أما هم فألقوا القبض عليه وأخذوا يسألونه قائلين : من أين أنت يا هذا ؟ لقد أصبت كنزاً من كنوز الملوك الأولين، فاظهره لنا لنشاركك فيه ونخفي حقيقة أمرك والا سلمناك الى حكم الموت •فاستغرب يمليخا جداً وقال في نفسه : إنَّ ما لم أكن أحذر منه قد زيد الى مخاوفي • وقال له أولئك القوم : لا تظن أيها الشاب ان الكنز يخفى • أما يمليخا فلم يكن يدري بماذا يجيبهم • واذ رأوه صامتاً لا ينبس ببنت شفة ، طوقوا عنقه بردائه ،وسط السوق وشرعوا يعذبونه ليحملوه على الاعتراف بالكنز ، وانتشر الخبر في المدينة كلها انه قد ألقي القبض على شاب لقي كنزاً من كنوز الأولين، فتألب الناس حوله وكانوايتطلعون الى وجهه فلم يعرفه أحد منهم ، فقالوا انه شاب غريب الجنس

لم نره من قبل البتة • فتعجب يمليخا ولم يقو على الكلام ولم يستطع اقناعهم بأنه لم يجد كنزاً ، واذ كان واثقاً من نفسه ، وهو يظن أن له أبوين واخوة وعشيرة كبيرة ومشهورة في مدينة افسس ، وهو متأكد تمام التأكد من أنه كان عشية أمس يعرف عدداً كبيراً من سكان المدينة ، ولكنه في ذلك الصباح لم يتمكن أن يتعرف على أحد منهم ، فكان يتطلع على الجموع كالمجنون ليرى أحداً من اخوته أو معارفه فلم ير • فاستولى عليه الدوار وصرعته الخيالات • حينئذ هاجت المدينة وماجت ، وتناهى الخبر الى الكنيسة ، واستمع له أسقفها القديس ماريس وكان يزوره وقتئذ انتوباطس والي افسس ، فقد شاءت العناية الربانية أن تجمعهما في تلك الساعة معاً ليظهر على أيديهما للشعوب كلها كنز بعث الموتى •

فأمرا باحضار الشاب ودراهمه أمامهما ، فجُر يمليخا وجيء به الى الكنيسة وهو يظن أنه يؤخذ الى داقيوس الملك • فجعل يتلفت يمنة ويسرة والجموع تستهزيء به كما يستهزئون بمعتوه • وأدخل الى الكنيسة حيث كان الأسقف ماريس والوالي انتوباطس اللذان تعجبا من رؤية دراهم الرجل • وسأله انتوباطس قائلا : ان دراهمك هذه تدل على أنك قد أصبت كنزاً ، فقل لنا أين هو هذا الكنز ؟ أجاب يمليخا : اني لم أجد كنزاً أبداً أما هذه الدراهم فهي من فضة آبائي ومن عملة هذه المدينة • ولكني لا أعلم تفسير ما جرى لي • قال انتوباطس : من أين أنت ؟ أجاب يمليخا : أظن انني من أهل هذه المدينة • قال له ذاك : ابن من أنت ومن يعرفك هنا ؟ ليأت ويشهد لك • فذكر له يمليخا اسم والديه(٨) فلم يوجد من يعرفهما واياه •

---

٨ - لم يذكر التاريخ اسم والدي يمليخا ولا أسماء آباء صحبه المعترفين (المترجم) •

فقال له انتوباطس : أنت انســان كاذب لا تنطق بالصدق ٠ واذ كان يمليخا قائماً بينهم متحيراً مطأطيء الرأس صامتاً ، قال بعض المحيطين به ربما كان هذا الانسان معتوها ، وقال آخرون كلا بل انه يتظاهر بالجنون ليتخلص من هذه الورطة ٠ ونظر اليه انتوباطس شزراً وقال كيف نعتبرك معتوها؟ وكيف نصدق أن دراهمك هذه هي من فضة آبائك ، وصورة الدراهم تشير الى أنها قد ضربت قبل ثلاثمائة واثنتين وسبعين سنة(٩) أي قبل عهد الملك داقيوس بسنين ؟ كما أن هذا الختم لم يستعمل لدراهم أخرى ولا يشبه ختم الدراهم المتداولة بين الناس في عصرنا هذا ٠ فهل وجد اباؤك قبل سنين وأجيال عديدة ،وأنت لا تزال شاباً ؟ ألعلك تحــاول أن تخدع شيوخ مدينــة افسس وحكماءها؟ أراني مضطراً الآن أن أصدر أمري بتكبيلك بالقيود، وايقاع أمر العذاب بك حتى تعترف بالكنز الذي وجدته ٠ فلما سمع يمليخا هذا الكلام سجد أمامهم وقال : أجيبوني أيها السادة عن سؤال ، وأنا أكشف لكم مكنون قلبــي ٠ أنبئوني بربكم عن الملك داقيوس الذي كان ، عشية أمس، في هذه المدينة، أين هو الآن ؟ أجابه الاسقف ماريس قائلا : يا بني لا يوجد في عالمنا اليوم ملك يسمى داقيوس ، ولم يوجد الا ملك واحــد هلك منذ أجيال عديدة ٠ فأجاب يمليخا وهو ساجد أمامهم : ان الخيالات يا سيدي الأسقف قد استحوذت عليّ وان خبري أصعب من أن يصدقه أحد من الناس ٠ هلم معي الى الكهف في جبل انكيلوس لأريكم أصحابي وسنعرف منهــم جميعــاً الأمر الأكيد ٠ أما أنا فما أعرفه هو اننا قد هربنا منذ أيام من الملك داقيوس ٠ وعشية أمس رأيت داقيوس يدخل مدينة افسس ولا أعلم الآن اذا كانت هذه المدينة افسس أم لا ؟ ٠

---

٩ ـ هذا تاريخ ضرب العملة ، لا مدة سبات الفتية في كهفهم (المترجم) ٠

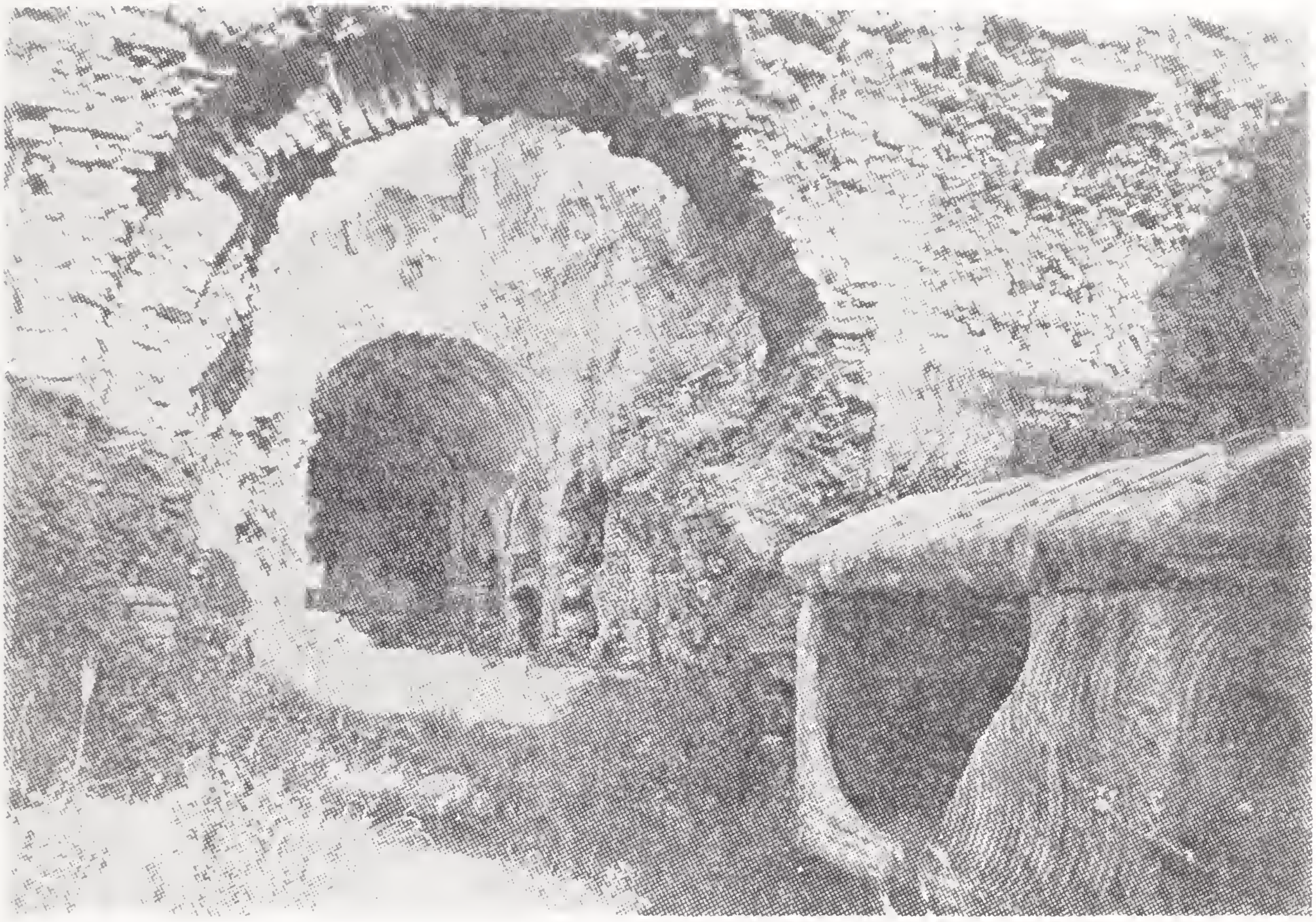

منظر لآثار الكنيسة التي شيدت على المكان الذي رقد فيه
أهـل الكهـف في أفسس

فاشتغل بال الاسقف ماريس عند سماعه قول يمليخا ٠ وبعد تفكير عميق قال : انها لرؤيا يظهرها الله لنا على يدي هذا الشاب ، فهلم بنا ننطلق معه لنرى الأمر الواقع ٠ قال هذا ونهض والوالي انتوباطس ومعهما كبار رجالات المدينة ، وركبوا عربات ، وتسلقوا الجبل ، وعندما وصلوا الى الكهف حيث المعترفون ، دخل يمليخا أولا وتبعه الاسقف ماريس وبينما كان يدخل الكهف عثر في الجهة اليمنى من بابه على صندوق من النحاس مختوم بختمين من الفضة ، فتناوله ، ووقف أمام مدخل الكهف ، ودعا كبار المدينة وأشرافها وفي مقدمتهم انتوباطس ، ورفع أمامهم الأختام ، وفتح الصندوق ، فوجد

لوحين من نحاس • وقرأ ما كتب عليهما « لقد هرب الى هذا الكهف من داقيوس الملك المعترفون مكسيمليانوس ابن الوالي ويمليخا ومرتينيانوس وديونيسيوس ويؤانس اسرافيون وقسطنطنوس وانطونيوس وقد سد الكهف عليهم بحجارة » وكتبت أيضا في سطور اللوحين الأخيرين صورة ايمان المعترفين • وعندما قرئت هذه الكتابة ، تعجب السامعون ، وقدموا المجد لله على المعجزات والبينات التي أظهرها لهم وللبشر كافة ،ودخلوا الكهف فشاهدوا المعترفين جالسين بجلال ووجوههم مشرقة كالورد النضر فسجد الاسقف ماريس والوالي انتوباطس وسائر العظماء والشعب المرافق لهم على الأرض ، أمام المعترفين ، ومجدوا السيد المسيح ربهم الذي أهَّلهم ليروا هذا المشهد العجيب • وهؤلاء يشهدون جميعاً على أنهم تكلموا مع المعترفين، وانهم استقوا منهم أخبار الحوادث التي جرت على عهد الملك داقيوس •

وأُرسل فوراً الى الملك ثيودوسيوس بريد مكتوب مضمونه: لتسرع جلالَتك وتأت فترى ما أظهره الله تعالى على عهدك الميمون من العجائب الباهرات ، فقد أشرق من التراب نور موعد الحياة وسطعت من ظلمات القبور أشعة قيامة الموتى بانبعاث أجساد القديسين الطاهرة •

ولما بلغ ثيودوسيوس الملك الظاهر هذا النبأ ، تقوت نفسه ، فترك مسوحه ونهض عن الرماد الذي كان قد افترشه ، ورفع يديه نحو السماء وهو يقول : أشكرك أيها المسيح ملك السماء والأرض ، على أشعة الرحمة التي أخذت تشرق علي من شمس برك ، فلم ينطفىء نور عقيدتي من سراج آبائي ، ولم تسقط ولا واحدة من جواهر الايمان المرصعة في تاج قسطنطين الملك الظافر •

وسمع الأساقفة وعظماء الشعب بهذا الخبر السار، فرافقوا الملك مغادرين معه القسطنطينية حالا بفرسان ومركبات وعربات • ولما وصلوا الى افسس هبت المدينة باكليروسها وكبار رجالاتها الى استقبال الملك ، وصعدوا جميعاً الى كهف المعترفين في جبل انكيلوس وبادر المعترفون الى استقبال الملك وضاءت برؤيته وجوههم • فدخل الملك الى الكهف وخر ساجداً أمامهم وعانقهم وبكى وجلس معهم على تراب الأرض وهو يرنو اليهم ويحمد الله • وكان قلبه يلهج بالشكر وهو يقول : كأني أسمع صوته يوم مجيئه الثاني بالمجد ، عندما يخرج لاستقباله الموتى من قبورهم بلا عجب •

وقال مكسيمليانوس للملك : « أما الآن فنستودعك الله وقد بلغ ايمانك الذروة وليحفظ المسيح ابن الله جلالتك مصوناً من البلبلة التي يثيرها ابليس، وكن على يقين أن ربنا ،لأجلك، قد بعثنا من التراب قبل يوم القيامة العظيم ، ومثلنا مثل الجنين الذي طالما هو في بطن أمه لايشعر باكرام أو هوان ولابجبروت أو ضعف ، وانه ولئن كان حياً لا يحس بالأحياء ، ولابالأموات، هكذا كنا نحن : كالنائمين ، هادئين مستريحين خالين من كل فكـر » •

ولما أكمل مكسيمليانوس كلامه ثقلت أجفانه ونعس معه رفاقه المعترفون كافـة ، وأسندوا رؤوسهم الى التراب ، وأسلموا بأمر الله أرواحهم ورقدوا • وكان الملك والأساقفة وكبار القوم يتأملونهم • ونهض الملك وبسط حلته الملكية علـى أجسادهم وهو يبكي ، وأمر حالا أن تصنع لهم ثمانية توابيت من ذهب• فظهر له المعترفون في الحلم ليلا قائلين : « ان أجسادنا قدبعثت

من تراب ولم تبعث من ذهب أو فضة فدعونا علــى التراب في نفس موضعنا من الكهف ذاته ، لأن الله سيبعثنا من هناك » ٠

فأمر الملك حالا أن توضع صفائح من ذهب تحت أجسادهم وتركهم في مواضعهم حتى يومنا هذا ٠

وأقر مجمع من الأساقفة عيداً عظيماً لهؤلاء المعترفين(١٠) ووزع الملك صدقات جزيلة على فقراء تلك المنطقة ، وأطلق سراح الأساقفة المأسورين في المنفى ، وعاد ومعه الأساقفة الى القسطنطينيــة ، مغمورين بفرحة ايمان الملك ، ممجدين الله تعالى على كل ما جرى ٠

★ ★ ★

---

١٠ ـ ورد عيدهم في الكلندار السرياني القديم في ٢٤ تشرين الأول ، ولهم طقس بيعي خاص يثبت رقادهم وانبعاثهم (المترجم) ٠

قصة مار نيقولاوس أسقف ميرا (+٣٤١)

المعروف بين القديسين السريان بمار زوخي

□ مصادر القصة :

تكرم الكنائس المسيحية الرسولية الشرقية والغربية ، القديس مار نيقولاوس • وقد دونت قصته بلغات شتى ، من جملتها اللغة السريانية • وتنطوي مخطوطاتنا السريانية على النص الكامل لهذه القصة التي كتبت مع سائر قصص القديسين السريان ، واعتمدناها مستندين في ذلك الى نسخ قديمة ،كما قارنا حوادثها بما ضمته كتب السنكسار القبطي الأرثوذكسي وقصص القديسين ، بالعربية والانكليزية ، لطوائف مسيحية أخرى •

□ رجل يحيا لأجل الآخرين :

ان التأمل بسيرة حياة مار نيقولاوس ، لهو خير وازع لتمجيد اسم الله القدوس، فقد عاش هذا القديس لأجل الآخرين، وكان شاهداً لعناية الله تعالى بالمخلوقات عامة ، والانسان بشكل خاص • فالله يسخر عبيده الأمناء ، كالقديس نيقولاوس ، ليعتنوا باخوتهم بني البشر ، بسد عوزهم الروحي والجسدي•

★ نشرت أولا في العدد ٣٨ السنة ٢٢ من مجلتنا البطريركية عام ١٩٨٤ •

■ القديس نيقولاوس مـار زوخـي ■

ويعتبر مار نيقولاوس شفيعاً للمظلومين والذين لم ينصفهم القضاء أحياناً · وتذكر قصته ، أن قضاة عادلين اعتقلوا ظلماً وبهتاناً ، متهمين بالرشوة ، واذ كانوا في السجن معذبين ، صلى أحدهم الى الله متشفعاً بمار نيقولاوس ، فاستجيبت صلاته ونجا مع رفاقه من حكم الاعدام ، اذ ظهر للملك ولبعض المسؤولين ملاك الرب في حلم ، معلناً براءة أولئك القضاة ، فتم الافراج عنهم ·

ويعتبر مار نيقولاوس شفيع الأحداث ، وصيادي السمك والبحارة ، والمسافرين في البحر والبر ، كما يعتبر شفيع المؤمنين في روسيا ·

☐ نشأته :

ولد مار نيقولاوس في أواخر القرن الثالث للميلاد في بلدة باتار في آسيا الصغرى · وكان أبوه أبيفانيوس ، وأمه تونة ، من أغنياء القوم في بلدهما واشتهرا بمخافة الرب ، وعمل الصلاح وتوزيع الصدقات ، وكانا عاقرين ، يواصلان الصلاة الى الله والطلبات منه تعالى كي يرزقهما طفلا · فاستجيبت صلاتهما وولد لهما ولد سمَّياه نيقولاوس ، وبالسريانية « زوخي » واهتما بتربيته التربية المسيحية الصالحة ، وبتلقينه العلوم الروحية الى جانب العلوم الدنيوية · وشعر معلموه بقوة النعمة الالهية التي أسبغت عليه بوفرة ، اذ بزّ رفاقه في تحصيل العلم وفي ممارسة أعمال الفضيلة ، منذ نعومة أظفاره ، فرسم شماساً ، ثم ترهب في دير كان ابن عمه رئيساً عليه ، فأظهر فيه من النسك والعبادة ما تعجز عنه طاقة البشر ·

□ مثال لعمل الرحمة :

على أثر وفاة والديه ، وزع مار نيقولاوس أمواله الطائلة على الفقراء والمعوزين • من ذلك أنه سمع يوما عن رجل غني عصفت بأمواله ريح الدهر الخؤون، وكان له ثلاث بنات جميلات كدن يهوين في وهدة الرذيلة لانقاذ أفراد العائلة من الجوع والفاقة ! فذهب اليه مار نيقولاوس ليلا ، ورمى اليه من النافذة صرة من المال ، وتوارى عن الأنظار • فلما استفاق الرجل صباحاً ، وجد المال ، فعد ذلك هبة من الله . فتاب اليه تعالى وشكره على عنايته الالهية • وجهز ابنته الكبرى بذلك المال . وزوجها من شاب يخاف الله • فلما سمع مار نيقولاوس بذلك . فرح كثيراً ، وأعاد الكرة ورمى صرة ثانية من المال ،استخدمه الرجل لزواج ابنته الثانية • لكنه . وقد تاق الى معرفة السر الكامن وراء هذا الاحسان الكبير ، أخذ يسهر الليالي ،مترقبا ••• واذ عاد مار نيقولاوس للمرة الثالثة ، ورمى بصرة المال من الكوة ، لحق به الرجل وأمسكه • وعندما عرفه سجد له شاكراً • فطلب اليه مار نيقولاوس أن يكتم اسمه وألا يخبر أحداً لأن الرب أوصى في ميدان الاحسان ، ألاّ يُعلِم الانسان شماله ما تفعله يمينه • أما ذلك الرجل ، فلم يتمكّن من كتم الخبر ، اذ راح ينشره بين أصدقائه وجيرانه ، فعطر اسم مار نيقولاوس تلك المنطقة بكاملها •

□ ترؤسه ديراً :

ولما انتشر عَرف فضائل مار نيقولاوس وفاح أريجها في بلدته ، رحل الى بلدة ميرا(١) اذ كان خاله أسقفاً • فرسمه خاله

---

١ ـ كانت بلدة ميرا عاصمة اقليم ليكيا في آسيا الصغرى ، مر بها الرسول بولس وهو في طريقه الى مقدونيا واليونان ، وتسمى اليوم كوجاك في جنوب تركيا •

كاهناً وأقامه رئيساً على دير(٢) في ضواحي بلدة ميرا ، وتنبأ له عن مستقبل باهر في خدمة الكنيسة . اذ سيتبوأ فيها مركزا مرموقاً ٠

وقد جرت بوساطته أعجوبة باهرة ، ذلك أن زوجين فقدا ابنهما الوحيد،وأنفقا أموالهما وهما يبحثان عنه ، دون جدوى ٠ وبعد سنين عديدة ، قصدا الدير وهما يائسان ، وطلبا من رئيس الدير مار نيقولاوس الصلاة لأجلهما ٠ فأمر رئيس الدير الرهبان بالاجتماع لاقامة صلاة خاصة على نية هذين الزوجين المعذبين ٠ فاستجاب الرب الصلاة ، وأحضر ملاك الرب الصبي الذي كان قد اختطف وبيع عبداً لأناس باعوه بدورهم الى أحد كبار الرجال في مصر ، فاختطفه ملاك الرب وأتى به الى الدير ، فسلمه مار نيقولاوس الى والديه ٠

☐ زيارة الأماكن المقدسة :

وتاق مار نيقولاوس الى زيارة الأماكن المقدسة والتبرك من قبر الخلاص ٠٠ فركب البحر ٠٠ وخلال الرحلة ، هاجت الأمواج وماجت ، وعصفت الرياح ، وكادت السفينة أن تتكسر وتغرق ، فطلب النوتي الى مار نيقولاوس أن يصلي الى الله ليرحمهم ٠٠ ففعل مار نيقولاوس ، وهدأ البحر ٠ وكان أحد طاقم البحارة قد سقط من السارية ومات ٠٠ فصلى مار نيقولاوس الى الله ، فأعاد اليه الحياة ٠٠

☐ تسقفه على ميرا :

كان خال مار نيقولاوس قد انتقل الى جوار ربه وقام مكانه أسقف آخر ٠ فبعد عودة مار نيقولاوس الى ديره من

---

٢ ـ ان القصة السريانية التي تنفرد في ذكر هذه الحادثة لم تذكر اسم هذا الدير ولا موقعه بالضبط ٠

زيارة الأماكن المقدسة رأى ذات ليلة حلماً عجيباً ·· كأن حلة حبرية زاهية قدمت اليه ليتشح بها ، كما رأى عرشاً رفيعاً ورجلا يقول له : تفضل واجلس على هذا العرش · وفي ليلة أخرى رأى السيد المسيح يسلم اليه الانجيل المقدس والسيدة العذراء تناوله الحلة الحبرية·

ويقال انه على أثر وفاة أسقف ميرا ، ظهر ملاك الرب لرئيس الأساقفة في حلموقالله: ان الرب قد اختارمارنيقولاوس ليقام أسقفاً على ميرا · وعندما استيقظ رئيس الأساقفة،أخبر سائر أساقفة المنطقة ، فاعتبروا ذلك أمراً من السماء ،فجاؤوا بمار نيقولاوس ورسموه أسقفاً على ميرا · وتقول روايةأخرى ان ملاك الرب ظهر لأكثر من أسقف وهم مجتمعون في الكنيسة ، صائمين مصلين كي يلهمهم الرب الى اختيار الرجل الصالح ليقيموه أسقفاً على ميرا · فقال ملاك الرب لمن ظهر لهم في الحلم ، أن أول من يدخل الكاتدرائية في صباح اليومالتالي هو الذي اختاره الله لهذه الرتبة· كما ظهر الملاك لمارنيقولاوس في حلم ، وأمره أن يغادر الدير باكراً جداً ويدخل المدينة ليصلي صباحاً في كاتدرائيتها · فلما فعل نيقولاوس مأمره به الملاك ، ووصل الى باب الكاتدرائية ، كان أحد الأساقفة في الانتظار ·· فأمسكبه وأدخله الى بقية الأساقفة ، فنادوا : « مستحق ، مستحق ، مستحق » أن يكون اسقفاً على ميرا ، انه الشخص الذي اختاره الرب لهذه الرتبة السامية · وبعد الانتهاء من مراسم رسامته اسقفاً ، صلى مار نيقولاوس على انسان فارق الحياة ، فعادت نفسه الى جسده ، وقام حياً!فتعجب الجميع ، وسبحوا الله على قدرته ·

□ زهـــده :

عاش مار نيقولاوس ، وهو أسقف ، حياة الناسك الزاهد العابد المتقشف • فكان يتشح بأسكيم الرهبانية ويلبس الصوف الخشن على جسده تحت الحلة الاسقفية الزاهية ، ويواظب على الصلاة ليل نهار ، ولا يتناول الا وجبة واحدة من الطعام البسيط طوال اليوم ، كما انه لم يذق طعم اللحم أبداً •وأنعم الله عليــه بالحكمة في تدبير رعيتـــه ، فكان يسوسها بايمان وبمخافة الرب ، وكم حاجج الرب بصلوات حارة طالباً اليــه أن يعفيه من حمل رسالة الاسقفية مقدراً جسامة المسؤولية • فظهر له الرب يسوع في حلم وخاطبه قائلا : لاتخف يانيقولاوس فانني لا أتخلى عنك طالما أنت مكمل واجبات الاسقفية بصدق وأمانـــة •

وكان اهتمام مار نيقولاوس بالفقراء من رعيته ،ظاهراً وملموساً ، وهو بذلك كان يمثل عناية الله تعـالى بالمخلوقات كافة ولا سيما الضعيف منها •

□ مار نيقولاوس المعترف :

وفي سنة ٣٠٣ أثار القيصر الرومانـي ديوقلطيانس ، الاضطهاد على المسيحية ، فسام المؤمنين صنوف العذاب ، وأمر باغلاق كنائسهم وابادة كتبهم المقدسة ، فسجـن عـدداً كبيراً منهم ، ونفى آخرين ، وكان نصيب رعاة الكنيسة من هـذا الاضطهاد وافراً جداً • ومن بين هؤلاء الرعاة الصالحين ،كان مار نيقولاوس الذي زجـه جنود قيصـر في غياهب السجون وأذاقوه مر الآلام •• وهو يتحمل كل ذلك بصبر جميـل حباً

بالمسيح الفادي · ومكث مار نيقولاوس مسجونا حتى انتصر قسطنطين الملك على أعدائه وفتح أبواب السجون ، فخرج المعترفون ظافرين ، وعاد مار نيقولاوس الى أبرشيته ليرعى الشعب الذي ائتمنه على رعايته ·

☐ اشتراكه في مجمع نيقية :

وعندما انعقدمجمع نيقيةعام٣٢٥، حضره مارنيقولاوس، وفنّد مع آباء المجمع بدعة آريوس معترفا بالايمان المستقيم الرأي ·

☐ معجزة اكثار الحنطة :

وحدث على عهده جوع شديد ، وكانت سفن الامبراطور تنقل الحنطة من الاسكندرية الى شواطىء آسيا الصغرى · فالتمس مار نيقولاوس قبطان احدى هذه السفن ليهبه مائة برميل كبير من الحنطة بغية اعانة أبناء أبرشيته · وحالما وافق القبطان على ذلك ، شاهد الحاضرون ملائكة تفرّغ الغلة الى الميناء · ومما زاد من دهشتهم أن حمولة السفينة لم تنقص أبداً رغم انزال الكمية المطلوبة من الغلة الى أرض الميناء ، فمجدوا الله الذي أنعم على القديس مار نيقولاوس بعمل المعجزات ·

☐ انتقاله الى جوار ربه ونقل ضريحه الى أوروبا :

في السادس من شهر كانون الأول من عام ٣٤١ ، انتقل القديس مار نيقولاوس الى الأخدار السماوية وله من العمر ثمانون سنة ، قضى منها أكثر من أربعين سنة في خدمة الأسقفية

في ميرا ، ودفن جسده الطاهر ، باكرام كبير في أحد مرتفعات مدينة ميرا ٠ وكما اجترح عجائب في حياته ، كذلك اجترحت على ضريحه عجائب عديدة !٠ فصار ضريحه مزاراً يتبرك به المؤمنون القادمون من آماكن شتى ٠ وكما تشفع به المسيحيون في الشرق ، كذلك تشفع به المسيحيون في الغـرب ، اذ نقلوا ضريحه الطاهر عام ١٠٨٧ م من مدينة ميرا عاصمة اقليم ليفيا في جنوب تركيا ، الى مدينة باري في اقليم ايوليا في ايطاليـــا وتعيد له الكنيسة في ٦ كانون الأول المصادف ١٠ كيهك القبطي ٠

☐ مار نيقولاوس في الكنيسة السريانية :

تكرم كنيستنا السريانية القديس نيقولاوس أي مارزوخي مع سائر القديسين السريان وشيدت كنائس عديدة على اسمه في أماكن شتى ٠ وقد جاء في السنكسار القبطي الأرثوذكسي(٣) ما يأتي : « اليوم الخامس عشر من شهر برمودة المبارك(٤) تعيد الكنيسة بتذكار تكريس أول هيكل بناه النصارى (السريان) المقيمون في أرض مصر للقديس نيقولاوس اسقف مـيرا وهو أحد آباء مجمع نيقية الثلاثمائة والثمانية عشر(٥) » ٠

---

٣ ـ السنكسار القبطي ـ طبعة القاهرة عام ١٩٥١ ـ ج ٢ ـ ص ٩٥ ٠

٤ ـ ١٥ من شهر برمودة القبطي يوافق ١٠ من شهر نيسان السرياني ٠

٥ ـ وكان موقع هذه الكنيسة ظاهر ثغر الاسكندرية قرب الكنيسة المعروفة بكنيسة القديس شنودة شرقي الثغر المذكور ٠

□ **الخاتمـــة :**

ان سيرة مار نيقولاوس حافلة بالأمور الغريبة العجيبة التي لاتخلو من اللغو والمبالغة ومن اضافات دسَّها النسّاخ فشوهت الحقائق وأربكت المؤرخين وشككت أحيانا المؤمنين. ومع ذلك ، فالقصة مليئة بالمعجزات الباهرات التي تعتبر حقائق تاريخية صادقة ، اتفقت على صحتها نصوص القصة بلغات شتى . ولكثرة العجائب التي آجراها الله تعالى على يدي القديس نيقولاوس في حياته ، وبشفاعته بعد انتقاله الى كنيسة الأبكار المكتوبة أسماؤهم في السماء ، نقول : لكثرة هذه العجائب ، دعي القديس نيقولاوس ب (صانع العجائب) ، فقد أقام موتى ، وأشبع جياعاً ، وهدّأ بحراً هائجاً . كما اشتهر بعمل الاحسان وبتوزيع الصدقات على الفقراء . فقد باع كل ماكان له وما ورثه عن والديه ، ووزعه على المساكين ، طبقاً لوصية الرب الموجهة الى الراغبين في الكمال ، كما اهتم بالمعوزين وهو اسقف . ومن وحي سيرته الفاضلة وأعمال الرحمة التي قام بها . ومن محبته للاحداث ، اتخذ كشخص وهمي يوزع الهدايا في عيد الميلاد المقدس وسمي (سانتا كلوز) أو (بابانوئيل). والاسم سانتا كلوز جاء من اسمه بالانكليزية سانت نيكولاس Saint Nicholas وقد حور هذا الاسم الى (سانت كلوز) Saint Claus واسمه السرياني (مار زوخي) ، يعني : الفاضل المنتصر والظافر والنقي الطاهر .

★ ★ ★

قصة القديس أنطونيوس الكبير

أبي الرهبان وكوكب البرية *

(+ ٣٥٦)

☐ كاتب القصة :

في أواسط القرن الرابع للميلاد فاحت رائحة فضائل القديس الأنبا(١)أنطونيوس الذكية في أرجاء المعمورة • فكتب بعض المتوحدين الأتقياء في الغرب(٢) الى القديس أثناسيوس الرسولي (+ ٣٧٣) مستفسرين منه عن صحة الأمور العجيبة التي قيلت عن هذا الحبيس(٣) البار ، والناسك القديس • فأجابهم القديس أثناسيوس بكتاب باليونانية شرح فيه بالتفصيل

★ نشرت أولا في العدد ٣١ السنة ٢٢ من مجلتنا البطريركية عام ١٩٨٤ •

١ ـ أنبا كلمة يونانية تعني الأب وتطلق خاصة على رئيس الدير ، ويطلقها الأقباط على البطاركة والأساقفة أيضاً •

٢ ـ لم يكن في الغرب في ذلك الوقت الا متوحدون مبتدئون في ايطاليا وفرنسا • وكانوا على صلة بالقديس اثناسيوس منذ نفيه هناك • وكتب القديس اثناسيوس الرسولي قصة القديس انطونيوس عام ٣٥٧ م أي بعد وفاة الانبا أنطونيوس بسنة واحدة على الأغلب ، ونقلها جيروم وصديقه أوغريس الى اللاتينية حوالي سنة ٣٧٥ م كما نقلت عبر الدهور الى لغات عديدة • ونقلها الى العربية ، عن ترجمة انكليزية ، الفس مرقس داود ونشرت في القاهرة مصر سنة ١٩٥٠ •

٣ ـ الحبيس كلمة سريانية تعني ناسك حبس نفسه في صومعة تعبداً لله والجمع حبساء •

ما رآه بنفسه أوسمعه ممن عاشروا الأنبا أنطونيوس · ويقول في مقدمته : « ··· انني أسرعت في الكتابة اليكم عما أعرفه آنا شخصياً اذ رأيت أنطونيوس مراراً ، وعما استطعت أن أتعلمه منه ، لأنني لازمته طويلا ، وسكبت ماء على يديه ،وفي كل هذا كنت أذكر هذه الحقيقة أنه يجب أن لايرتاب المرء اذا ما سمع كثيراً ، ومن الناحية الأخرى يجب أن لا يحتقر الرجل اذا ما سمع عنه قليلا » وقد نقلت هذه القصة الى السريانية(٤).
أنارت سيرة القديس الأنبا أنطونيوس الطريق أمام جمهورغفير من الشبان · فتركوا العالم ، وتبعوا الرب يسوع · وامتلأت برية مصر بالمتوحدين والمتوحدات ، والرهبان والراهبات ، بل ازدهرت حياة الرهبانية في العالم المعروف · ذلك أن القديس أثناسيوس كاتب قصة حياة القديس أنطونيوس ، حملها الى روما في زيارته اياها عام ٣٣٩ ، وأشاع فيايطاليا طريقة الأنبا أنطونيوس في النسك فانتشرت وكانت أقوى عامل لازدهار الحياة النسكية في غرب أوربا · ولما درسها أوغسطينُس (+ ٤٣٠) بعدئذ ساعدت على توبته(٥) · وقد وصف القديس أثناسيوس القديس أنطونيوس بقوله : « انه أبو الرهبان وكوكب البرية » · ويعد أول مصابيح البرية ومؤسس الرهبنة التي هي فلسفة المسيحية الروحية ·

☐ نشأة مار انطونيوس :

ولد أنطونيوس في بلدة « قِمَن » (وهي كوم العروس اليوم) في صعيد مصر ، حوالي سَنة ٢٥١ م من أسرة مسيحية

---

٤ ـ اللؤلؤ المنثور للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة بغداد ١٩٧٦ ص ١٤٩ ·

٥ ـ بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية طبعة مطرانية بني سويف عام ١٩٦٨ ص ٤٩١ والدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للبطريرك العلامة أفرام الأول برصوم طبعة حمص عام ١٩٤٠ ص ٥٠٢ ·

تقية . وتربى في كنف والدين فاضلين أحبهما كثيراً وأطـاع أوامرهما ، وكان يرافقهما بالذهاب الى الكنيسـة لعبادة الله بالروح والحق ٠

لم يكن للفتى أنطونيوس رغبة في تحصيل العلوم الدنيوية. فنشأ أميا أو شبه أمي ، ولكنه كان يتلذذ بسماع كلمات الانجيل المقدس ، ويحفظ عن ظهر قلبه حوادثه ، وآياته الكريمة ٠

ولما أكمل العشرين من عمره نال سر العمـاد المقدس ٠ وبُعيد ذلك بمدة قصيرة انتقل والداه الى الخدور العلويـة تاركين له مالا دثْراً ، وأختاً وحيدة أصغر منه ألقيت علـى عاتقه مسؤولية العناية بها ٠

☐ اعتزاله العالم :

تألم أنطونيوس جداً على وفاة والده ، ووقف يتأمله وهو جثـة هامدة باردة ويقول : أليست هذه الجثة كاملة ولم يتغير منها شيء البتة سوى توقف هذا النفس الضعيف ! ؟٠٠ وخاطب أنطونيوس أباه الميت قائلا : أين هـي عزيمتـك ، وأمرك ، وسطوتك العظيمة ، وهمتك العالية بجمع المال الكثير! ؟ انني أرى أن ذلك قد بطل ، وقد تركت كل شيء ورحلت ٠٠ فيالهذه الخسارة الفادحة ، والحسرة الجسيمة ! فان كنت أنت يا أبتاه قد تركت هذا العالم مجبراً ، أما أنا فسأعتزله طائعاً ، كيلا يخرجوني منه مثلك يا أبي كارهاً(٦) ٠ وبدأ أنطونيوس الشاب التقي يكثر من التأمل بحقارة هذا العالم ، وبأمجاد السماء ٠ وحدث مرة بينما كان يصلي في الكنيسة ، والكاهن يتلوالانجيل المقدس ، جذب انتباهه قول الرب للشاب الغني : « ان أردت

---

٦ ـ بستان الرهبان ص ٥ ٠

أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني » (مت ١٩ : ٢١) ٠ واعتبر أنطونيوس كلام الرب يسوع موجها اليه ٠ وان الرب بهذا الكلام يدعوه ليترك كل شيء ويتبعه كما فعل الرسل الأطهار (مت ١٩ : ٢٧ ـ ٢٩) فللحال خرج أنطونيوس من الكنيسة، وعاد الى بيته مصمماً على أن ينفذ الوصية بحذافيرها ، فوزع على الفقراء ما ورثه من والديه من مال وعقار ، ومن جملة ذلك ثلاثمائة فدان من الأراضي الممتازة ٠ واحتفظ لأخته بيسير من المال فقط ٠ وقد ازداد ايماناً واندفاعاً عندما سمع الرب يقول أيضاً في الانجيل المقدس « فلا تهتموا قائلين : ماذا نأكل ٠ و ماذا نشرب ٠ و ماذا نلبس ٠ فان هذه كلها تطلبها الأمم ٠ لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون الى هذه كلها ، لكن أطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم ، فلا تهتموا للغد ٠ لأن الغد يهتم بما لنفسه ٠ يكفي اليوم شره » (مت ٦ : ٣١ ـ ٣٤) لما سمع الشاب أنطونيوس هذا الكلام، وزع البقية الباقية من الارث على المحتاجين ، وأودع أخته بيتاً لبعض العذارى التقيات ، واعتزل العالم ، وانفردمتنسكاً في مكان قريب لبلدته ، اذ لم يكن نظام الرهبنة قد ظهر بعد(٧) وبدأ يسترشد ببعض المتوحدين ، فقد كان في القرية المجاورة واحد منهم طاعن في السن وقد اعتزل الناس منذ نعومةأظفاره ـ والعزلة عبادة ـ فكان يتعبد مكثراً من الصوم والصلاة فقصده أنطونيوس وسمع منه عن حياة الزهد ، والنسك ، والتوحد ، واقتدى بسيرته الفاضلة ٠ كما قصد أنطونيوس غيره من المتوحدين الذين سبقوه في طريقة النسك هذه ،وأخذ

---

٧ ـ كتاب السنكسار للكنيسة القبطية الأرثوذكسية طبعة القاهرة عام ١٩٣٥ مج ١ ص ٣١٠ ٠

عنهم ذلك وأفاد من خبرتهم لبلوغ الكمال المسيحي ، وشابه بذلك النحلة التي تنتقل من زهرة الى أخرى ترتشف الرحيق لتعطي الشهد الفاخر ·

وخرج أنطونيوس بعدئذ هائماً على وجهه في البرية حتى وصل الى شاطىء النهر فسكن الى جانب جميزة · وصادف أن شاهد مرة نسوة يستحممن في النهر أمامه ، فلامهن قائلا : أما تخجلن مني وأنا رجل متوحد أعبد الله في هذا المكان ! ؟ · فأجابته احداهن : على المتعبدين المتوحدين أن يعبدوا الله في البرية الداخلية لا على ضفاف الأنهار · فاعتبر أنطونيوس هذا الكلام رسالة له من الله ، فترك المكان حالا وسكن فيالبرية الداخلية حيث أقام له صومعة قرب وادي العربة ·

☐ جهاده في حياة النسك ، والتجارب التي طرأت عليه :

وكان الشيطان يحاربه بالملل والكسل ، وكاد أن يغلبه مدخلا اليأس في قلبه ، فسئم أنطونيوس حياة النسك ، وشعر كأن الصلاة عبء ثقيل · وأمام هذه التجربة الصعبة سكب أنطونيوس نفسه أمام الله بتواضع ، وذرف الدموع السخينة، وهو يطلب الى الرب ليعين ضعفه ولا يسمح لابليس بتحطيم حياته الروحية · فظهر له ملاك الرب بشكل رجل متشح برداء طويل ومتمنطق بمنطقة من جلد ولابس زنار صليب كالاسكيم وقد غطى رأسه بقبعة ، وهو جالس يضفر الخوص ، ثم يقوم يصلي ، ويعود يضفر الخوص ، ثم يقوم ثانية للصلاة ، وأنطونيوس يتأمله مندهشاً · فالتفت أخيراً الى أنطونيوس قائلا له : « اعمل هكذا تسترح » ثم اختفى عنه · فعلم

أنطونيوس أن الرب أرسل ملاكه ليعلمه كيفية عبادةالله بالصلاة وعمل اليدين ، فاتخذ أنطونيوس زي الرهبنة وخاصة الاسكيم الرهباني على الشبه الذي كان الملاك متشحا به · وأكثر من العمل في ضفر الخوص ، وهكذا تخلص من تجربة المللوالكسل· وعاد اليه نشاطه وعلو همته في الصوم والصلاة وعمل اليدين· وكان ينفق جزءاً مما يحصل عليه من عمل يديه لأجل القوت ويوزع الباقي على الفقراء ·

وعاد ابليس يحاربه ثانية ، وفي هذه المرة كانت التجربة القاسية بتذكير أنطونيوس بحياته الأولى حيث كان يعيش في بحبوحة ورفاه ويقارن ذلك بالشقاء الذي يتحمله في حياةالنسك، والزهد ، والتقشف · كما شن عليه ابليس أيضا حرب الجسد، فألهبه بالشهوة الدنسة ، وملأ رأسه بالأفكار الأثيمة ·وحدث ذات مرة أن جمع ابليس أمام أنطونيوس كل آلات الطرب واللهو واللذات الدنيئة والنساء · أما أنطونيوس فتواضع أمام الرب الاله وطلب معونته تعالى ، وكان يغمض عينيه ويقول للأبالسة : « عجباً منكم ! كيف تجعلون لي مقداراً أكثر مما أنا عليه بكثير ، وتحسبون لي حساباً كأني شيء مهم ،وتحتالون في سقوطي مع أني ضعيف عن مقاومة أحد أصاغركم · أبعدوا عني وعن ضعفي فاني مسكين وتراب ورماد » · وهكذا كان أنطونيوس يغلب ابليس باتضاعه واتكاله على الله فتزول عنه الأفكار الأثيمة · وكان يردد مع الرسول بولس : « لا أنا بل نعمة الله التي معي » (١ كو ١٥ : ١٠) ·

وانفرد أنطونيوس في ناؤوس(٨) خال ، حيث حبس نفسه فترة من الزمن كثّف فيها الصلاة ، وأكثر من الصيام فلما رأى

٨ ــ الناؤوس ج نواويس : مقبرة النصارى · وحجر منقور تجعل فيه جثة الميت ·

الشيطان نسكه الصارم وعبادته الحارة ، حسده وضربه ضرباً موجعا وتركه بين حي وميت فلما أتى أصدقاؤه الذين يحضرون اليه ما يقتات به ، ووجدوه على تلك الحال، حملوه الى الكنيسة، واعتنوا به . واذ وجد أنطونيوس نفسه قد تماثل الى الشفاء قليلا عاد الى مكانه الأول ، فعاد ابليس الى محاربتـه بخيالات كثيرة اذ ظهر له في أشكال وحوش وذئاب وأسود وحيات وعقارب، وكان ابليس يصور له أن هذه الوحوش الشرسة تهم لافتراسه وتمزيقه إرباً ارباً . أما أنطونيوس فكان يرسم على نفسه علامة الصليب ويصلي بحرارة فكانت الأبالسة تتوارى من أمامـه كالدخان ، وتلك الوحوش تذوب كالشمع أمام النار ، وكان أنطونيوس يستهزىء بالشياطين قائلا لهم : « لو كان لكم علي سلطان لكفى واحد منكم لمحاربتي ، ولكن حيث ان الله تعالى قد جردكم من كل قوة لهذا تحتالون أن تخيفوني بكثرتكم » . وكان يترنم بالمزمور الذي بدؤه : « يقوم الله ويتبدد أعداؤه » (مز ٦٨ : ١) .

وفي كل تجاربه كان أنطونيوس يستمد قوته من الله تعالى الذي يرمق خائفيه بعينه الساهرة . ونتيجة لخبرته الروحية هذه قال يوماً لتلاميذه(٩) : اني أبصرت مصابيح من نار محيطة بالرهبان ، وجماعة من الملائكة بأيديهم سيوف ملتهبة يحرسونهم، وسمعت صوت الله القدوس يقول : « لا تتركوهـم ما دامـوا مستقيمي الطريقة » فلما أبصرت هذا تنهدت وقلت : « ويلك يا أنطونيوس : اذا كان هذا العون محيطاً بالرهبان ، ومـع ذلك فالشياطين تقوى عليهم أحياناً ! » فجاءني صوت الرب قائلا : ان الشياطين لا تقوى على أحد ، لأني منذ أن تجسدت

---

٩ ـ عن بستان الرهبان ص ١٠ .

سحقت قوتها عن البشريين ، ولكن كل انسان يميل الى الشهوات. ويتهاون بخلاصه . فشهوته هي التي تصرعه وتجعله يقع » . فصحت قائلا : « طوبى لجنس الناس وبخاصة الرهبان . لأن لنا سيداً هكذا رحيما ومحبا للبشر » .

ويذكر القديس أثناسيوس أن الأنبا أنطونيوس « كان يسهر طويلا لدرجة أنه كثيراً ما كان يقضي الليل كله مصليا دون أن ينام . وهذا لم يفعله مرة واحدة بل مراراً حتى عجب منه الآخرون . وكان لابساً شعرا . ولم يستحم بماء طوال حياته (النسكيـة) . وكان يأكل مرة واحدة في اليوم . بعد الغروب ، وفي كثير من الأحيان مرة كل يومين . أو مرة كل أربعة أيام . أما طعامه فكان الخبز مع قليل من الملح .وشرابه الماء فقط .. وكان يكفيه أن ينام على حصير خشن ، ولكنـه غالباً كان ينام على الحضيض »(١٠) . وتتلخص فلسفته في الزهد بقوله : « ان قوة النفس تكون سليمة عند الاقلال من ملذات الجسد . ولذلك فالرسول بولس يقول : « حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قـوي » (٢ كو ١٢ : ١٠) فان « التقدم في الفضيلة والاعتزال عن العالم من أجلها يجب ألا يقاسابالزمن بل بالرغبة وثبات العزيمة » ولم يبال الأنبا أنطونيوس بالماضي بل كان كل يوم كأنه في بداية نسكه يبذل جهداً أكثر شقاء نحو النمو مكرراً لنفسه قول الرسول بولس : « انسى ما هو وراء، وامتد الى ما هو قدام » (في ٣ : ١٤) وقول النبي ايليا القائل: « حي هو الرب الذي أنا واقف أمامه اليوم » (١ مل ١٨ :١٥) .

ولما بلغ الأنبا أنطونيوس الخامسة والثلاثين من عمره ،

١٠ـ سيرته بقلم القديس أثناسيوس الترجمة العربيـة ص ٢٥ و ٢٦ والخـريدة النفيسة للأسقف ايسيذورس طبعة مصر سنة ١٩٢٣ جزء ١ ص ١٩٦ ـ ١٩٩ .

اجتاز نهر النيل شرقاً وتوغل في البرية فوجد حصناً قديماً ، مهجوراً ، في داخله مجرى ماء ، آوت في ثغوره الثعابين الغدارة والزحافات الفتاكة ، فاتخذه الأنبا أنطونيوس قلاية(١١) له ، فغادرته الأفاعي والزحافات حالا ، فسد مدخله وحبس فيه نفسه ولم يغادره أعواماً عديدة ، ولم يأذن لأحد أن يدخل اليه، بل كان من يأتي اليه يقف خارجاً ويستمع الى كلمات الوعظ والارشاد • وكان معارفه يدلون اليه من فوق كمية من الخبز مرتين في السنة •

وبعد قضاء عشرين عاماً معتزلا الناس عابداً الله متزهداً، ذاع صيته في الأقطار • وبالهام رباني خرج من الحصن مملوءاً من الروح القدس والحكمة ، صحيح الجسم قويه ، على الرغم من التقشف الشديد المضني • تفوح منه رائحة القداسة ،ويشع في محياه نور المسيح • ومضى الى الفيوم ووعظ الاخوة هناك وثبتهم على حياة النسك ، ثم عاد الى حصنه •

وأنعم الله عليه بموهبة شفاء المرضى ، فقصده الناس من كل فج عميق ، فكان يعظهم بكلمة الحياة ، ويصلي لأجلهم فينالون شفاء النفس والجسد •

واقتدى بنسكه كثيرون ، وتتلمذوا عليه آخذين عنه طريقة الزهد، والنسك ، التي دعيت بعدئذ بالرهبنة بشروطها الثلاثة: البتولية ، والفقر الاختياري ، والطاعة • وكان يتفقد الرهبان

١١ـ قلاية : كلمة لاتينية (CELLULA) أصلها منزل الراهب أي كرحه ، ويراد بها أيضا مسكن البطريرك والأسقف ج قلالي وقلايات (اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة بغداد ١٩٧٦ ص ٥٠١) •

في البرية بين الفينة والفينة ، ويرشدهم الى طريق الكمال(١٢) بالقول ، والمثال • وعمّر لهم أديرة، وسن لهم قوانين انضباطية تنظم لهم الحياة المشتركة • ويعتبر القديس الآنبا أنطونيوس مؤسساً للحياة الرهبانية الأولى نصف النسكية التي تمتاز بانفراد كل راهب أو ناسك في قلايته أو صومعته خمسة أيام في الأسبوع(١٣) ويجتمعون معاً أيام السبت والأحد (١٢) والأعياد في ديرهم المجاور لأماكن اقامتهم ، للاشتراك في الأسرار الالهية •

وقصد الأنبا أنطونيوس الاسكندرية عام ٣١١ ابان شدة مكسيمينس(١٤)رغبة منه في الاستشهاد في سبيل المسيح يسوع• وكان يتفقد المعترفين(١٥) في سجونهم ويعزيهم ويشجعهم على الثبات حتى الموت على الايمان المستقيم الرأي • وكان الحاكم قد أصدر أمراً بألا يظهر راهب في المدينة ، أما الأنبا أنطونيوس فلم يبال بذلك بل كان يجاهر بالايمان أمام الناس وحتى أمام الحاكم ذاته ببسالة فائقة • وشاء الله تعالى أن يحفظه لمنفعة الكنيسة فلم يستشهد وعاد الى ديره سالماً •

وتنبأ الأنبا أنطونيوس عن خراب البيعة وتسلط الهراطقة عليها مدة من الزمن ، وعودتها الى عقيدتها المستقيمة الرأي

١٢ـ تقديس السنة المسيحية بقراءة سيرة القديسين اليومية طبعة الموصل ١٨٩١ مج ١ ص ٥١ •

١٣ـ الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للبطريرك أفرام الأول برصوم حمص ١٩٤٠ ص ٥٠٢ وأديرة وادي النطرون للدكتور منير شكري طبعة الاسكندرية ١٩٦٢ ص ١٠٥ •

١٤ـ مكسيمينس الثاني دايا الامبراطور الروماني على الشرق (٣٠٥ ـ ٣١٨) اضطهد المسيحيين غلبه مناوئه ليقينيوس فانتحر •

١٥ـ المعترف من يتحمل الشدة والاضطهاد من أجل تمسكه بالايمان بالمسيح ولم يستشهد •

وتقاليد آبائها • كما تنبأ عن نمو الرهبنة وازدهارها • وهو الذي ألبس الأنبا مكاريوس(١٦) الاسكيم الرهباني وأنبأه بما يكون منه ، وزار الاسكندرية للمرة الثانية وذلك سنة ٣٥٥م، يوم كان الأريوسيون يفتكون برجال الكنيسة والمؤمنين باضطهاد عنيف أثاروه ضد المؤمنين ، فخرج الأنبا أنطونيوس من عرينه يدافع عن الايمان المستقيم الرأي ويعزي المعترفين ، ويزور المسجونين مشجعاً اياهم على الثبات على الايمان ويسفه الهرطقة الأريوسية الشنيعة ، فتحمل في سبيل ذلك عذاباً أليماً وهدى العديد من الهراطقة الى الايمان ، وشاء الله أن يبقيه حياً في هذه المرة أيضاً لخير الكنيسة فلم يستشهد •

وزاره البطريرك أثناسيوس الرسولي ، وكتب سيرته كما مر بنا • وكتب اليه الملك قسطنطين وابناه قسطنطيوس وقسطنس خطابات طمعاً بنيل بركته ، ورجوه أن يجاوبهم ، ففعل بالحاح تلاميذه عليه • وكانت أجوبته منطوية على النصائح الأبوية ، والتذكير بالحياة الأبدية • وقد فرحوا بها كثيراً •

وقبل وفاة القديس الأنبا بولس أول المتوحدين الحبساء

١٦- الأنبا مكاريوس الكبير : ولد سنة ٣٠١ في شبشير منوفية بمصر • وكان أبوه كاهناً ورسم هو أيضاً كاهناً متزوجاً (قساً) ولكنه لم يعاشر زوجته وعاش معها بتولا • وبعد موتها توحد في الأسقيط بناء على الهام رباني جاءه برؤيا رآها • وتتلمذ على القديس الأنبا أنطونيوس الذي يدعى أبا الرهبان كافة • وأخذ عنه طريقة الرهبنة واقتدى بحياته النسكية الفاضلة وتقشفه الصارم • فألبسه الأنبا أنطونيوس الاسكيم الرهباني ••• وتتلمذ على الأنبا مكاريوس كثيرون واشتهر بحسن رعايته لأبنائه الرهبان • كما اشتهر بصنع المعجزات • وبنى له ديرين أحدهما لا يزال باقيا الى اليوم ويحمل اسمه وهو (دير أبي مقار) • انتقل الى جوار ربه في سن التسعين ، ورفاته محفوظة في ديره في وادي النطرون (ملخصة عن بستان الرهبان ص ٤٩٢ و ٤٩٣) •

الأنبا أنطونيوس والانبا بولس

(+ ٣٤٧) ، زاره الأنبا أنطونيوس ، بالهام رباني ، وسمع منه قصته كما أنبأه الأنبا بولس عن دنو أجله ، وان الله أرسله ليقوم بمراسم دفنه ، فحزن الأنبا أنطونيوس كثيراً وبكاه بكاء مرأ . واهتم به وكفنه بعباءته التي أهداها اليه الأنبا اثناسيوس الرسولي البابا الاسكندري العشرون ، وصلى عليه وأودعه لحداً حفره أسدان أرسلهما الله اليه ، وأخذ قميصاً من خوص كان عليه ورجع الى تلاميذه وأخبرهم بقصته ، وقد عمَّر الأنبا بولس نحواً من مئة وثلاث عشرة سنة .

ولما شعر القديس الأنبا أنطونيوس بدنو أجله ، جمع تلامذته الرهبان ووعظهم ، وأوصاهم أن يدفنوا جسده في التراب ويخبئوه تحت الأرض . وأناط هذه المهمة الى تلميذيه أماثاس ومكاريوس ، ومما قاله في وصيته : « حافظا على كلمتي حتى لا يعرف المكان أحد سواكما . لأنني في قيامة الأموات سأتقبل جسدي بلا فساد من المخلص » وأمر بتوزيع ثيابه وأن تعطى للاسقف أثناسيوس (الفروة) أي جلد الخروف والرداء الذي كان مضطجعاً عليه والذي أعطاه اياه جديداً الاسقف أثناسيوس نفسه ، ولكنه عتق مع القديس أنطونيوس . وان تعطى (الملوطة) الجلد لتلميذ أنطونيوس الأسقف سرابيون . وأن يعطى عكازه لتلميذه الأنبا مكاريوس وأن يحتفظا لهما بالثوب المصنوع من الشعر وأن يأخذا أيضاً ما تبقى له ، ومما قاله لهما : « أما الباقي فخذاه يا ولديّ لأن أنطونيوس راحل ولن يبقى معكما فيما بعد » وهكذا رقد بالرب وكان عمره مئة وخمس سنين . وذلك في ١٧ كانون الثاني (يناير) عام ٣٥٦ م ، وقام بدفن جسده حسب وصيته

تلميذاه أماثاس ومكاريوس (١٧) وتعيِّد له كنيستنا السريانية المقدسة وبقية الكنائس في ١٧ كانون الثاني من كل عام ·

ومما هو جدير بالذكر أن القديس الأنبا أنطونيوس حتى ساعة انتقاله الى الخدور العلوية ، لم تضعف قوته ، ولاتناثرت أسنانه ، ولا تغيرت سحنته ·

وبحسب نبوته ازدهرت الرهبنة فقبل وفاته كان عدد الرهبان الذين يدبرهم في مصر قد بلغ مائة ألف راهب ، ولم تنقض خمسون سنة بعد ذلك حتى كان عدد الرهبان في براري مصر مساوياً تقريباً لعدد سكان البلاد(١٨) ·

وظلت رفاته مخفية حتى عام ٥٦١ م حين اكتشفت ، ووضعت في كنيسة بمدينة كابون القريبة من الاسكندرية ، ونقلت عام ٦٣٥ م الى القسطنطينية ، وفي القرن الحادي عشر الى مدينة فيينا في شمال مرسيليا بفرنسا ، واستقرت أخيراً في كنيسة يولياني في مدينة آرل الواقعة على مصب الرون غرب مارسيليا · وقد ظهرت منها معجزات كثيرة(١٩) ·

☐ أقوال مأثورة للأنبا أنطونيوس :

ولئن كان القديس أنطونيوس شبه أمي ولكنه تخرج كالرسل في مدرسة الروح القدس ، وأخذ عن المتوحدين الشيوخ الذين سبقوه في هذه الطريقة وعاصروه · وصار أباً ومعلماً لعشرات الآلاف من الرهبان · وأخذ عنه تلاميذه الأقربون ،

١٧ـ سيرته بقلم الأنبا أثناسيوس ص ١١١ و ١١٢ ·

١٨ـ القديس أنطونيوس ناسك انجيلي ـ للأب متى المسكين ـ من منشورات بيت التكريس بحلوان عام ١٩٦٨ ص ٥١ ·

١٩ـ فيه ص ٤٩ و ٥٠ ·

ودونوا عنه رسائل روحية وأقوالا مأثورة نورد فيما يأتي بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر(٢٠) :

☐ الاعتـدال :

كلما لجأ الانسان الى الاعتدال ، عاش في سـلام القلب لخلوه من الاهتمامات الزائدة بأمور كثيرة ٠ لكن التعلق بأمور هذا العالم ينشيء كدراً ويعوّد صاحبه التذمر على الله ٠ وهكذا تقودنا شهوات أنفسنا الى الأتعاب ونتخبط في ظلمة الحيـاة الأثيمـة ٠

☐ الشـره :

كل خبزك بسكينة وهدوء وامساك ٠ واياك والشره فانه يطرد خوف الله من القلب ، والحياء من الوجه ، ويجعل صاحبه مأسوراً من الشهوات ، ويضل العقل عن معرفة الله ٠ اجعل لك مرة واحدة في النهار للقيام بحاجة الجسد لا للشهوة ، ولا تأكل حتى تشبع ٠

☐ تجنب الحديث الغليظ والكلام الباطل :

اياك والغلظة في الحديث ٠ لأن الذكـي بالروح يتصف بالتواضع والعفة أكثر من كل شيء ٠

٢٠- نقلا عن حياة الأنبا أنطونيوس للقديس أثناسيوس الرسولي ٠ والقـديس أنطونيوس ناسك انجيلي للأب متى المسكين ٠ وبستان الرهبان لآباء الكنيسـة القبطية طبعة مطرانية بني سويف ٠ وسيرة القديس العظيم الأنبا أنطونيوس طبعة مكتبة كنيسةمار مينا بفلمنج اسكندرية٠الأقوال مترجمة عن (الفيلوكاليا)٠

يكتب الرسول بولس قائلا : « لا تطفئوا الروح لاتحتقروا النبوات » « ١ تس ٥ : ١٩ و ٢٠) ولتعلموا أن لاشيء يطفىء الروح مثل الكلام الباطل ٠

☐ التواضـــع والغـيرة :

لقد صليت لأجلكم حتى تقبلوا ذلك الروح الناري العظيم الذي أقتبلته أنا ٠ واذا أردتم اقتباله حتى يسكن فيكم فقدموا أولا أتعاب الجسد واتضاع القلب ٠ ويرفع أفكاركم للسماء ليلا ونهاراً ٠ اطلبوا ذلك الروح الناري بقلب مستقيم وسيعطى لكم ٠ هكذا قبله ايليا التشبي واليشع وغيرهما من الأنبياء ٠

لا تتوهم بأنك عالم وحكيم لئلا يذهب تعبك سدى، وتمر سفينتك فارغة ٠ ارفض الكبرياء واعتبر جميع الناس أبر منك ٠

عندما تهب الريح هادئة يستطيع كل قبطان أن يفتكر في نفسه متعظماً ، وأن يباهي بمهارته ٠ لكن عندما تتغير حال الرياح فجأة فحينئذ تنكشف خبرة الربان الحقيقية ٠

☐ المواظبة على القراءة والعمل :

أتعب نفسك في قراءة الكتب المقدسة فهي تخلصك مـــن النجاسة ٠ فاذا جلست في قلايتك فلا تفارق هـذه الأشياء : ١ ــ القراءة في الكتب المقدسة ٢ ــ التضرع الى الله ، ٣ ــ شغل اليد ٠ وان الراهب الذي يكون في قلايته غير ذاكر الله تعالى، ولا قارىء في الكتب المقدسة ، يكون كالبيت الخـرب خـارج المدينة الذي لا تفارقه الأوساخ ٠

☐ **الطاعـــة :**

ان الطاعة والمسكنة يخضعان الوحوش لنا ٠

☐ **الكـذب :**

اياك والكذب فهو يطرد خوف الله من الانسان ٠

☐ **التفكـير في المـوت :**

تفكر في كل يوم أنه آخر ما بقي لك في العالم فان ذلك ينقذك من الخطيئة ٠

★ ★ ★

قصة مار ابراهيم القيدوني

أحد نساك المشرق الشهيرين*

(ت ٣٦٦)

☐ كاتب القصة :

دون قصة مار ابراهيم بالسريانية أديب لامع ، عاصر المترجم ، لذلك سرد تفاصيل حياته بأمانة واسهاب وهو شاهد عيان لوقائعها . ويظهر في القصة عامل الاثارة والتشويق في حادثة سقوط ابنة أخي مار ابراهيم في الخطية وخروج مار ابراهيم من صومعته وتضحيته بخلوته وعزلته ، ولو لمدةقصيرة، وذهابه الى المدينة وانقاذه ابنة أخيه . وهذا يشبه قصة تاييس لأناتول فرانس التي كتبها بعد هذه القصة بعدة قرون .

وتقع قصة مار ابراهيم في خمس وثلاثين صفحة من الحجم الوسط وقد نحلت مار افرام السرياني (+ ٣٧٣)(١)خطأ،

---

* نشرت أولا في العدد ٣٠ السنة ٢١ من مجلتنا البطريركية عام ١٩٨٣ .

١ ـ نشر القصة بالسريانية المستشرق يوسف لامي في بروكسل سنة ١٨٩١ عن أربع نسخ مخطوطة ناسبا اياها لمار أفرام . (طالع أيضا يوسف شمعون السمعاني مج ١ من المكتبة الشرقية ص ٣٩٦ وذخيرة الأذهان لبطرس نصري مج ١ ص ٩٧ واللؤلؤ المنثور للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة بغداد ١٩٧٦ ص ١٤٠ و ١٤٧) .

كما في نسخة دير الزعفران(٢) وغيرها من المخطوطات(٣)·وأياً كان الكاتب فقد كان معاصراً لمار ابراهيم ، كما يظهر من متن القصة حيث يقول عن مار ابراهيم : « انه كان في زماننا »(٤)·

وقد نظم مار افرام السرياني في مدح مار ابراهيم القيدوني مداريش وأناشيد بلغت سبعة عشر مدراشاً تتفق وترجمة حياته(٥) ·

☐ نشأة مار ابراهيم :

ولد مار ابراهيم ، على الأرجح ، في مدينة الرها(٦) أو في ضواحيها · وسمي قيدونياً نسبة الى قرية قيدون(٧) التي هدى أهلها الى النصرانية(٨) ·

كان والداه من علية القوم وجاهة وغنى ، واشتهروا بالتقوى ومخافة الله ، فنشأ ابراهيم في بيت مسيحي مؤمن ، ونال قسطاً وافياً من العلوم ، ودرس الكتاب المقدس ، وكان

---

٢ ـ الزعفرانية تحت رقم ١١٧ ·

٣ ـ مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢٣٤ خطت في القرن الثالث عشر ونسبت الى مار أفرام طبعها الأب بولس بيجان في أخبار الشهداء والقديسين مج ٦ ص ٤٦٥ ـ ٤٩٩ بنصها السرياني ·

٤ ـ سيرة أشهر شهداء المشرق ـ بالعربية ـ طبعة الموصل ١٩٠٦ مج ٢ المقدمة ص٢ ·

٥ ـ سيرة مار أفرام السرياني للمؤلف طبعة بغداد عام ١٩٧٤ ص ٢٩ واللؤلؤ المنثور ص ٢٠٠ والمكتبة الشرقية للسمعاني مج ١ ص ٣٩٦ ·

٦ ـ الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للبطيرك أفرام الأول برصوم طبعة حمص ١٩٤٠ مج ١ ص ٥٤٠ ·

٧ ـ قيدون قرية كبيرة مجاورة لمدينة الرها ·

٨ ـ سيرة أشهر شهداء المشرق : بالعربية طبعة الموصل ١٩٠٦ مج ٢ ص ٥٨ ـ ٧٢ وكلدو واثور بالعربية ١٩١٣ مج ٢ ص ٣٢ وتاريخ الرهاوي المجهول في السمعاني مج ١ : ٣٩٦ ·

يواظب على الصلاة والصيام ، ويسلك طريق الاستقامة بموجب شريعة الهنا دون لوم ٠

□ زهده :

زهد في الدنيا في شرخ شبابه ، وهجر داره وعروسه بعد سبعة أيام من عرسه وغادر مدينته والتجأ الى مغارة غير بعيدة عنها ، فاتخذها له قلاية(٩) وصومعة٠ ووجده أهله هناك بعد تفتيش دام سبعة عشر يوماً٠وحاولوا أن يثنوه عن حياة النسك فلم يفلحوا ، وطلب اليهم أن يتركوه يعبد الله مكرساً له ذاته كلياً ٠ ثم سد عليه باب المغارة ، ولم يترك منها مفتوحاً سوى كوة صغيرة كان يتناول عبرها ما يأتونه به من طعام وشراب ٠ وقد اتصف نسكه بسكب الدموع الغزيرة الى جانب السهر والصوم والصلوات المستمرة المقرونة بالسجود ٠

قيل ان يوسف الصديق ابن يعقوب أبا الأسباط ظهر له في حلم ، فسأله مار ابراهيم من أنت يا سيدي ؟ فأجاب أنا هو يوسف الذي لم يكن من السهل علي التخلص من سيدتي ، أما أنت يا ابراهيم فحتى مع زوجتك لم تتدنس(١٠) ٠

بعد عشر سنوات من هجر مار ابراهيم العالم انتقل أبواه الى جوار ربهما تاركين له ثروة كبيرة ، فأوكل الى أحدأصدقائه ليوزعها على ذوي الفاقة ويستبقي لديه جزءاً منها يستعمل عند الحاجة ولم يكن ابراهيم يملك سوى ثوب خشن منسوج

---

٩ ـ قلاية كلمة لاتينية (CELLULA) تعني مخدع ، أو حجرة الراهب أو منزله ٠

١٠ـ كتاب الايثيقون بالسريانية للمفريان مار غريغوريوس ابن العبري (ت ١٢٨٦) المقالة الثالثة الباب الرابع الفصل السابع ٠

من شعر الماعز يتشح به ، وصحن يأكل فيه ما يصله من الطعام البسيط ، وحصير يفرشه على الأرض ويضطجع عليه ٠

وكان الناس يتجمعون خارج مغارته فيخاطبهم بكلمةالله عبر الكوة الوحيدة في قلايته ، فيسكبون دموع التوبة عائدين الى الله لأن كلامه كان له تأثير عليهم فيبكت ضميرهم ٠ من هنا نعلم أن الزهد في الدنيا ليس اهمال الدنيا عن كسل ، بل هو الاهتمام بما فوق لدرجة توجب ترك ما في العالم ، وذلك طبقاً لوصية الرب « لا تقدرون أن تعبدوا ربين الله والمال » (مت ٦ : ٢٤ و لو ١٦ : ١٣) ولهذا ينذر الراهب أو الراهبة نذر الفقر الاختياري ، والبتولية ، والطاعة ، فتظهر فيهما فضيلة نكران الذات التي توجب التضحية بكل ما يُظن أنه سعادة للانسان في هذه الحياة ٠

□ تنصر أهل قيدون :

وكان بجوار الرها قرية كبيرة تدعى قيدون ، يقطنها أناس شرسو الطباع ، يعبدون الأوثان ، وقد حاول العديد من الكهنة تبشيرهم بالمسيح يسوع مخلص العالم ، فلم يفلحوا ٠ وقرّ قرار أسقف الرها على ارسال مارابراهيم الناسك ليدعوهم الى المسيح ، ولما طلب اليه ذلك ، اعتذر ابراهيم في بادىء الأمر ، معتبراً الرسالة فوق طاقته ، فهو رجل بسيط ، وضعيف ٠ ولكن الأسقف كرر عليه الأمر ، واعتبر عدم ذهابه الى قيدون ، عصياناً ٠ ومما قاله له : « انك قد هجرت العالم ولذاته ، وانقطعت للعبادة ، وتعوزك فضيلة واحدة ألا وهي فضيلة الطاعة ، وان اقامتك في قلايتك هي لخلاص نفسك فقط ٠ أما اذا أطعت أمري ، وذهبت الى قيدون ، وجذبت أهلها الى المسيح فانك تكون سبباً لخلاص نفوس كثيرة ، علاوة

على خلاص نفسك » فأذعن مار ابراهيم وأجاب الاسقف قائلا: « لتكن ارادة الله » • فرسمه الاسقف كاهناً •

وهكذا ذهب مار ابراهيم الى قرية قيدون ، وشيد فيها كنيسة جميلة مما استبقاه لدى صديقه من المال الذي ورثه عن والديه •• وكان مار ابراهيم يعظ سكان القرية صباح مساء داعياً اياهم الى المسيح • وشرع يتجول في القرية ويحطم الأصنام التي يعبدونها ، الأمر الذي أثار غيظهم جميعاً ، فأشبعوه ضرباً وتجريحاً وجروه في الشوارع وطردوه خارج القرية • فرجع اليها ليلا • ولما وجدوه في اليوم التالي أعادوا الكرة بضربه وطردوه من قريتهم ، وفي اليوم التالي وجدوه في الكنيسة يصلي فتألبوا عليه وأسمعوه كلمات قاسية ، أما هو فكان يقابلهم ببشاشة ولطف ويحاول اقناعهم لترك عبادة الأوثان وقبول الايمان بالله الحي وابنه الحبيب يسوع المسيح مخلص العالم • وقوبلت كلماته هذه الرقيقة ، ومحبته الخالصة ، بالمزيد من الشتم والضرب وجروه ثالثة في شوارعهم وأخذوه خارج القرية حيث أهالوا عليه الحجارة ، وظنوا أنه مات • ولكنهم وجدوه في الكنيسة ، في صباح اليوم التالي، وهو يصلي لأجلهم بحرارة. ويطلب الى الرب ليلهمهم ما فيه خلاص نفوسهم، ودام اضطهادهم اياه ثلاث سنين(١١) وهو ثابت على محبته لهم والصلاة لأجلهم . واستجاب الرب صلاته •• فقد لانت قلوبهم ، فاجتمعوا به في الكنيسة وأعلنوا له قرارهم : بأن محبته العميقة لهم، وتضحيته في سبيلهم ، وتحمله الاهانات منهم، وصبره على ظلمهم وعنتهم، كل هذه الأمور جعلتهم يثقون بأنه يريد صالحهم وخيرهم، لذلك

١١ـ تقديس السنة المسيحية بقراءة قصص القديسين اليومية ـ طبعة الموصل عام ١٨٩١ مج ١ ص ٢٥٢ •

طلبوا اليه أن يعلمهم أصول الدين المسيحي ، وتنصروا على يديه، فعمّد منهم أكثر من ألف رجل ومكث عندهم عاماً كاملا، ثم غادرهم سراً راجعاً الى حياة النسك والوحدة والزهدبالدنيا. فحزنوا على فراقه كثيراً ، وأخبروا اسقف الرها فرسم لهم كهنة وشمامسة . ولما سمع مار ابراهيم بذلك سرّ كثيراًورجع الى قلايته الأولى حيث كان قد بدأ نسكه .

☐ ترهب مريم ابنة أخيه وسقوطها وتوبتها :

وكان لمار ابراهيم أخ وحيد له ابنة وحيدة اسمها مريم ، جاؤوا بها الى عمها ، بعد موت أبيها ، وكان عمرها سبع سنين، فتتلمذت عليه . وشيد مار ابراهيم قلاية خارجية ملاصقة لقلايته ، فأسكن ابنة أخيه في القلاية الخارجية ، وسكن هو في الداخلية ، وكانت بينهما كوة صغيرة . وعلّمها سفر المزامير وسائر أسفار الكتاب المقدس ، وأخذ يرشدها الى حياة الكمال المسيحي ، وكانت تشاركه الصلاة ليلا ونهاراً ، مقتدية بسيرته الطاهرة ، ودامت الحال على هذا المنوال عشرين سنة .

ولكن عدو الخير أغوى مريم فسقطت في الخطية اذ غرر بها أحد الشبان .. واستولى عليها ابليس فأفقدها الأمل بخلاصها ، وتملك اليأس والقنوط قلبها ، فغادرت قلايتها ، بدون علم عمها ، وانطلقت الى مدينة أخرى ، والتحقت بفندق تعمل فيه مطلقة العنان لشهواتها ، منغمسة في سائر أنواع الرذائل .

وفي الليلة التي غادرت فيها مريم حياة الطهر والنقاء ، الى البلاد البعيدة ، لتبذّر نعم الله ومواهبه ، كالابن الضال، في تلك الليلة اضطربت نفس عمها ، اذ رأى في حلم تنيناً كبيراً

دخل قلايته فوجد حمامة وديعة ابتلعها وهرب · وبعد يومين رأى القديس ابراهيم في حلم أيضاً ذلك التنين ، وقد أتى الى قلايته ثانية فوطىء القديس رأسه بقدميه ، فانشق بطنه وخرجت منه تلك الحمامة سالمة ، فمد القديس يده وانتشلها · ولما استيقظ القديس من نومه صرخ بأعلى صوته مناديا ابنة أخيه قائلا : « يا للعجب يا بنتي مريم ماذا دهاك حتى أهملت مشاركتي الصلاة منذ يومين ! ؟ فلم يسمع جوابا ، وكرر النداء ثانية وثالثة ، ولم يكن هناك من مجيب ··· فعلم أن أمراً سيئا قد جرى لابنة أخيه · وان الله قد أظهر له ذلك في الحلم ··· فحزن عليها حزنا عميقا ، وكان ينتحب ليلا ونهاراً وهو يقول: « ويحي فان الذئب الخاطف قد افترس نعجتي الوديعة !» · وكان يواصل الصلاة الى الرب يسوع ليعيد مريم اليه كما أعاد الابن الضال الى أبيه ·

وبعد سنتين بلغ مار ابراهيم خبر عن مريم ابنة أخيه ، فأرسل من يتحقق من أمرها ويتأكد من الموضع الذي تعيش فيه ، ولما اطلع بالتفصيل على مكانها لبس مار ابراهيم ثياب جندي روماني ، ووضع خوذة على رأسه ، وامتطى صهوة حصان مطهَّم ، وانطلق نحو المدينة التي تسكنها مريم ، وجاء الى الفندق حيث كانت تعمل ، وسأل صاحب الفندق عنها مقدماً له مالا جزيلا ليعد له لقاء خاصاً بها ·· وهكذا كان ··· ولاطفها مار ابراهيم ، وأكل وشرب معها ، دون أن تعرف من هو ··· ثم رفع الخوذة عن رأسه وناداها باسمها قائلا : يا بنتي العزيزة مريم هل نسيت عمك ، بل أباك الروحي ، ومرشدك ومربيك ؟ ! فعرفته وسقطت على قدميه تبللهما بدموع سخينة حارة ··· وأخذ يحثها على التوبة ويدعوها لتعود الى الله ، فالله يقبل التائبين مهما كانت خطاياهم كبيرة وكثيرة ·· وكانت

مريم تنتحب بمرارة وهي تسكب دموع التوبة النصوح ومار ابراهيم يشاركها البكاء ويصلي لأجلها ، ولما قررت العودةمعه الى حياة النسك ، سألته ما اذا كان يسمح لها بأخذ المال الذي حصلت عليه من أعمال الخطيئة ، فكان جوابه لها أن تدع في مكان الخطية ما هو حصة ابليس والخطية(١٢) فتركت كل شيء ورافقته في الصباح الباكر الى صومعتهما . فسكن مار ابراهيم في القلاية الخارجية وأسكنها في القلاية الداخلية.وكانت تواظب معه على الصوم والصلاة والسجدات المتواصلة ليلا ونهاراً . وكان صوت بكائها يسمعه الوافدون الى القديس مار ابراهيم لنيل بركته ، وكان هؤلاء يشاركونها البكاء وهم يقرعون صدورهم تائبين الى الله .

وقد قبل الرب توبة مريم ، وكعلامة لرضاه تعالى أنعم عليها بموهبة صنع العجائب والمعجزات . فكانت تصلي على المرضى فيشفون وكانت حياتها سبب بركة للناس ، وكان العديد من الخطاة التائبين ينالون العزاء لدى سماعهم قصتها .

وكان القديس مار ابراهيم يواصل الشكر لله لعودة الخروف الضال الى حظيرة الخراف ، وخلاص النعجة الحليمة من الذئب الخاطف ، وانقاذ الحمامة الوديعة من التنين اللعين . ودعي القديس بابراهيم الثاني عن جدارة ، ذلك أن ابراهيم الأول أبا الآباء حارب ملوكاً ورؤساء وخلص لوطاً ابن أخيه من أعدائه (تك ١٤:١٣ـ١٦) ومار ابراهيم الثاني هذا حارب ابليس اللعين وأنقذ منه مريم ابنة أخيه .

١٢ـ جاء في سفر التثنية : « لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب الى بيت الرب الهك عن نذر ما لأنهما كليهما رجس لدى الرب الهك » (تث ٢٣ : ١٨) .

□ انتقال مار ابراهيم الى جوار ربه :

وبعد عشر سنين من توبة مريم انتقل القديس مار ابراهيم الى جوار ربه عن سبعين سنة قضى خمسين منها في حياة الزهد والنسك والتقشف . وكانت وفاته في الرابع عشر من شهر كانون الأول سنة ٣٦٦ للميلاد . وشيع جثمانه الطاهر جمهور غفير من المؤمنين تسابقوا لاقتطاع شيء من ثيابه تبركاً(١٣) ، وتعيِّد له كنيستنا في الرابع عشر من شهر كانون الأول من كل سنـــة .

وكان مار ابراهيم طوال مدة نسكه ، يرقد على حصيرة بسيطة كما ذكرنا آنفاً أو يفترش الأرض ، ويكثر من الصوم والسجدات في الصلاة . ولم يمرض ولم تخر قواه قط ، ولم ييأس ، ولم يقنط ، ولم يمل هذه العيشة الخشنة القاسية ، بل كان يشكر الله دائماً ويواصل البكاء ليلا ونهاراً ، فلم يمـر عليه يوم لم يبك فيه بدموع حارة ، بل لم تعرف شفتاه الضحك أبداً . وكان كأنه يموت كل يوم . لذلك حاربه أبليس بشدة ، وظهر له بأشكال شتى ، وقد غلبه القديس باسم الرب يسوع .

وكتب مار ابراهيم صلوات وأدعية ضم بعضها الى كتيب (الاشبية) أي صلوات الرهبان السبع (١٤) .

□ انتقال مريم الى جوار ربها :

وبعد انتقال مار ابراهيم الى جوار ربـه بعشر سنين ،

١٣ـ كنيسة مدينة الله أنطاكية ـ للدكتور أسد رستم . ج ١ ص ٢٨٩ عن Martin P. Zeit fur Katolisch Theorogle 1880, 426-437.

١٤ـ اللؤلؤ المنثور ص ٩٤ .

لحقت به مريم ابنة أخيه ، ففاضت روحها الطاهرة سنة ٣٧٦م لتنال مكافأة الرب على زهدها ، ونسكها ، وتوبتها الصادقة ٠

وقد نُظمت أناشيد سريانية كثيرة مستوحاة من توبة ابنة أخي مار ابراهيم ، منها (مرقاة)(١٥) لمار افرام السرياني (+ ٣٧٣) ضمت الى فنقيث(١٦) صلوات الصوم الأربعيني المقدس ٠ ويتغنى بها السريان في طورعبدين(١٧) في سهراتهم ٠ رأينا أن ننقلها بتصرف الى لغة الضاد ، ونختم بنشرها هذه القصة الشائقة ٠

★ ★ ★

تعريب أبيات من مرقاة التي نظمت بالسريانية

على لسان ابنة أخي مار ابراهيم القيدوني في توبتها

مبارك هو المسيح الذي يفتح باب رحمته للخطاة التائبين ،

ألا فلأتنهّد باكية على حياتي ٠

الويل لي ٠ ماذا أصابني وكيف سقطت ٠ يا رب ارحمني ٠

١٥- مرقاة وبالسريانية (سيبلتو) وهي نوع من المنظومات السريانية الملحنة ٠

١٦- فنقيث : مجلد ، المجموع العام ، وهو اسم أحد كتب الفرض أي الصلاة على الاطلاق (اللؤلؤ المنثور ص ٥٠١) ٠

١٧- طور عبدين : جبل متصل بجبل الأزل المشرق على نصيبين ، وكورة كثيرة الأديار والصوامع قصبتها بلدة مذيات ، مكتظة بنيف وخمسين قرية وضيعة ثلثا أهلها مسيحيون سريانيون والبقية مسلمون ويزيديون (اللؤلؤ المنثور ص ٥١٧)٠

مع كوني ابنة أخي ابراهيم الجليل الشــهير ،
ويلاه ! فقد سقطت في حبائل الشيطان اذ تبعت غوايته ،
آهٍ ! منــــك أيها الشرير ماذا فعلت بـــي ؟ !
لقد اختارني ابن الملك (السماوي) ودعاني لأفرح بوليمته ٠
الا أنني فضّلت فرح البشر ٠ فيارب ارحمني ٠

ويلاه ! فان الدير الذي اتشحت فيه بالاسكيم الرهباني(١٨) ،
يندبني الآن ،
وان الشيخ الذي ألبسني الاسكيم ينتحب عليَّ بحزن عميق ،
آهٍ منك أيها الشرير ماذا فعلت بي ؟ !
لقد نزعت عني الاسكيم المقدس ، وارتديت حلة الزانية ٠٠
الويــل لي ٠٠ يــا رب أنت ارحمنـــي ٠

ويلاه ! فان كل من عرفني يقول لي : ويلك !
لأنني تركت ربي ، وأحببت العالم ،
آهٍ منك أيها الشرير ماذا فعلت بي ؟!
لقــد كنت متقلــدة بســلاح الروح القدس ٠
فخلعت اسكيمي وعدت القهقرى ٠ فيارب أنت ارحمني

١٨ـ الاسكيم : كلمة يونانية تعني ثوب الراهب أو ما جعل منه على الرأس ٠

ويلاه ! فقد كنت محبوبة ، عندما كنت أخدم المسيح ،
ولكنني سقطت اذ أطعت الشيطان ،
آه منك أيها الشرير ماذا فعلت بي ؟!
لقد نسيت مطالعة الكتب المقدسة ، فالويل لي ٠
وأبدلتها بصـوت مزمـار منكر ٠ فيارب ارحمني ٠

ويلاه ! فقد كنت حمامة طاهرة ووديعة ،
وسقطت بين شدقي ابليس ، وصرت له لقمة سائغة ،
آه منك أيها الشرير ماذا فعلت بي ؟ !
تبكيني بزة الشعر التي ارتديتها ٠ فالويل لي ٠
ولأنني خلعتها تخلَّى عني المسيح ٠ فيارب أنت ارحمني ٠٠

ويلاه ! لقد غادرت ميناء السلام الذي كنت فيه مطمئنة ،
وأضحيت معذبة وسط الأمواج المتلاطمة الهائجة ،
آه منك أيها الشرير ماذا فعلت بي ؟ !
لقد حرمت نفسي من أنغام الروح القدس ٠ فالويل لي
لأنني فضَّلت عليها الأغاني المنكرة ٠ فيا رب ارحمني ٠

ويلاه ! ان نار جهنم الشديدة الأوار تنتظرني ،
وقد فقدت الأمل بحياتي ،
آه منك أيها الشرير ماذا فعلت بي ؟ !
لقد فقدت الكنز الثمين الصالح الذي كنت أمتلكه ٠
فالويل لي ٠ فقد اختلسه الشرير مني ٠ فأين أجده
(ثانية) ؟ فيا رب ارحمني ٠

ويلاه ! ان سحابة الخطايا والذنوب غطتني فأخفتني ،
وقد اتشحت شقاوتي بثوب الخزي والعـــار ،
آهٍ منــك أيهــا الشرير ماذا فعلت بي ؟ !

ان باب مراحم الله مفتوح للخطاة أمثالي • اذا ازدادت ذنوبي •
وأنا أخشى الدنو من (عدالته) • فيا رب ارحمني •
ويلاه ! أنا التي خلقتني على صورتك كمثالك يا الهي الحنون الشفوق ،
قد تركت حريتي وأحببت العبودية، فالويل لي. فيارب ارحمني.
اني لأخجل من الدنو منك يا الهي • فاقبلني بمراحمك الغزيرة.
ويــارب ارحمنــي •

أيها العليّ الذي طأطأ سماء مجده ونزل الى الأرض لينقذ الغرقى أمثالي ،
انتشلني من وهدة الظلام التي سقطت فيها ،
آهٍ ارحمني يا رب •

السماء والأرض ترجوانك من أجلي يا ربي •

فامحُ آثامي بكثــرة نعمتك • ويارب ارحمني •

لتشكرن الله نفسي التي أنقذها تعالى من يد الشرير ،
ولتسجدن له وتمجدنَّه دائماً وأبداً ،
آهٍ ارحمني يا رب • آمـين •

القديسة مريم المصرية*

كاتب القصة :

الطوباوي الأنبا زوسيموس :

عاش الأنبا زوسيموس في القرن الرابع للميلاد على الأرجح ، وارتأى بعضهم أنه كان عائشاً في النصف الأول من القرن الخامس • وتنسك مدة ثلاث وخمسين سنة في أحد أديرة فلسطين • واشتهر بتقواه وعفته ووداعته ومسامحته للاخوة ومحبته العميقة لله وللناس ، وقد ذكر مرة لتلاميذه قصة عن محبته الخالصة لهم وهو يرشدهم الى الاقتداء به بالمحبة، قال :(١) « جاءني في بعض الأوقات أحد الأخوة الآخذين مني الاسكيم ، وكنت ألاطفه لأنه كان من الشبان المترفين ، فقال لي : يا معلم اني أحبك • فقلت له : اني لم أجد بعد من يحبني كما أحبه • أنت قلت انك تحبني ، وصدقت في قولك ، ولكنه ان عرض لك مني أمر لا تريده ، فانك لن تثبت على ما أنت عليه الآن ، أما أنا فلا يغيّرني عن المحبة عارض ما•

وحدث ، بعد أن عبر زمان يسير ، أن انفصل مني ،وصار يسبني كثيراً ويقول علي أقوالا قبيحة ، وكانت تبلغني •

★ نشرت أولا في العدد ٣٤ السنة ٢٢ من مجلتنا البطريركية عام ١٩٨٤ •

١ ـ عن بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية طبعة مطرانية بني سويف عام ١٩٦٨ ص ٤٦٧ و ٤٦٨ •

فكنت أقول في ذاتي : ان هذا هو مكوى يسوع ، أرسله ليداوي تكبر نفسي ، وكنت أقول لمن يخبرني بهذا الكلام : انه انما يقول بما رأى من شروري التي كانت ظاهرة له أما قبائحي الخفية فلن يحصى عددها .

وبعد زمان ، التقاني في قيصرية ، وسلّم عليّ كعادته ، أما أنا فقابلته ببشاشة ، كأن لم يبد لي منه قبيح ، أما هو فسجد لي وقال : « يا معلم ، من أجل الرب اغفر لي . فقد تقولت عليك بمثالب رديئة كثيرة » . فقلت له بطلاقة وجه : هل تذكر محبتك عندما قلت لي انني أحبك كثيراً ؟ وقلت لك وقتئذ اني ما وجدت من يحبني كما أحبه ، وليتحقق قلبك انه ماخفي عني ما قلته ، ولمن قلته وفي أي وقت قلته ، وان أردت قلته لك ، ولم تقل شيئاً الا وسمعته كما هو كما قيل ، ولم يقنعني أي مقنع أن أقول فيك قولا رديئاً ، ولم أترك ذكرك في صلواتي ، ولكي تعلم صحة محبتي لك ، فقد حدث لي في بعض الأوقات ، أن أوجعتني عيناي وجعاً شديداً ، فصليت وأنا منكبّ على وجهي وقلت : يا ربي يسوع المسيح اشفني بصلوات الأخ فلان . وفي الحال شفيت . هذا هو جميع ما قلته للأخ » .

ساورت الطوباوي زوسيموس أفكار الكبرياء ، وظن انه قد بزّ آباء البرية بالزهد والتقشف وأعمال الفضيلة وبلوغ الكمال ، وكاد أن يهوي في الخطيئة ويهلك روحياً لولا أن رحمة الله افتقدته فانتشلته من وهدة الاثم ، اذ جاءه أحد رهبان الدير مشيراً عليه بالذهاب الى دير يقع على ضفة نهر الأردن ، لينضم الى رهبانه ، ويقضي ما تبقى من حياته بين جدرانه . فأطاع زوسيموس وكأن ذلك الأمر جاءه من السماء ، وشد الرحيل الى ذلك الدير حيث استقبله رئيسه باكرام وترحاب ،

وقال له : ما الذي أرسلك الينا نحن المساكين البسطاء ؟ أجاب زوسيموس : أتيت لأتعلم منكم سبيل الكمال · فقال له الرئيس: اننا بحاجة الى من يعلمنا ذلك · فالكمال لله وحده · ثم سمح له رئيس الدير بالانضمام الى صفوف الاخوة الرهبان ، فتواضع زوسيموس كثيراً ، وبدأ يفحص نفسه ، فاكتشف سبب سقوطه ومتى جاءته التجربة وهكذا نجاه الله من الشرير · وسلك في الطريق المستقيمة التي أوصلته الى الكمال الانجيلي ·

☐ الأنبا زوسيموس يلتقي القديسة مريم المصرية :

وكان الدير قريباً من البرية التي قضى فيها الرب يسوع أربعين يوماً وأربعين ليلة صائماً · وبحسب العادة المتبعة في ذلك الدير كان الرهبان في فترة صوم الأربعين يضربون في البرية منفردين ، ممارسين خلال ذلك أصعب أعمال النسك والزهد والتقشف ، ولا يعودون الى الدير الا في أحد الشعانين · وهكذا فعل الأنبا زوسيموس حيث عبر نهر الأردن ، وشرع يسير في البرية نهاراً وهو يصلي ويتلو المزامير ، وينام في العراء بضع ساعات ليلا ·

قبل انتهاء صوم الأربعين ، لمح زوسيموس عن بعد شبه شبح يتحرك فتتبَّعه وطلب من الله بصلاة حارة أن يكشف له أمره ، فألهم أنه انسان ، فواصل مطاردته والشبح يهرب من أمامه ، واذ أنهك التعب قوى زوسيموس سقط على الأرض وهو ينادي : أيها الانسان توقف لأراك واشفق على شيخوختي فاني أكاد أن أهلك من شدة الاعياء · فتوقف الشبح متستراً وراء أكمة وأجاب زوسيموس قائلا : يا أبي زوسيموس انني امرأة ، فاذا شئت أن تخاطبني فارم اليّ شيئاً أستتر به لأنني عريانة ·

واندهش زوسيموس من معرفة المرأة الغريبة اسمه ، ولكنه أيقن أن ذلك حدث بارشاد رباني ، فطرح اليها رداءه الخارجي فاتشحت به وجاءت وسجدت أمامه ، فسجد هو أيضاً أمامها ، وطلبت بركته لأنه كاهن الله العلي ، فزاد عجبه من أمرها بمعرفتها انه كاهن . ولم يتمكن من اخفاء دهشته فقال لها : أيتها الأم الكريمة أرى أن الله قد أنعم عليك بمواهب سامية ، فقد عرفت اسمي ووظيفتي الروحية مع أننا لم نلتق من قبل ، أرى انك أمَة الرب التقية الفاضلة ، فأرجو أن تباركيني وتصلي لأجلي ولئن كنت كاهناً . واذ طلب منها ذلك بلجاجة ، باركته . ثم طلب اليها أن تصلي لأجله ، فاتجهت نحو المشرق ورفعت يديها وبدأت تصلي ورآها زوسيموس وقد ارتفعت عن الأرض بنحو ذراع واحدة أثناء الصلاة . فساورته الشكوك بأمرها وفكر في أنها تصنع هذا بقوة الشيطان . ففاجأته قائلة : لماذا تفكر في نفسك أفكاراً غريبة يا أبي زوسيموس ؟ كن واثقاً بأن ليس للشيطان شيء فيّ . وانني وان كنت خاطئة فان رحمة الله الواسعة افتقدتني ونعمته الغزيرة غمرتني .

وطلب اليها بالحاح أن تكشف له سرها ، وتسرد أمامه قصتها لينتفع المؤمنون بسماع أخبارها . فأنبأته بقصة سقوطها في الخطية وتوبتها ونسكها ، ولكنها التمست منه ألا يخبر أحداً بأمرها قبل موتها . كما طلبت اليه أن يأتيها في العام القادم بالقربان المقدس لتتناول جسد الرب ودمه وتتحد بالمسيح لأنها منذ خمس وأربعين سنة لم تسنح لها الفرصة للاشتراك بسر القربان المقدس وقالت له متنبئة : انه لن يخرج الى البرية خلال صوم الأربعين في العام التالي ولذلك عليه أن ينتظرها

■ القديسة مريم المصرية ■

على ضفة نهر الأردن يوم خميس الفصح المقدس ومعه جسد الرب ودمه الأقدسان ··· ودعها زوسيموس وقفل راجعا الى ديره فوصل اليه صباح عيد الشعانين ولم يخبر أحداً بما سمع ورأى · وفي العام التالي مرض ليلة صوم الأربعين فلم يتمكن من الخروج الى البرية كسائر رهبان الدير ، وتمت بذلك نبوتها ، وبحسب طلبها جاءها يوم عيد الفصح الى ضفة نهر الأردن وهو يحمل القربان المقدس ، فلم يجدها ، وكان يتطلع بقلق يمنة ويسرة ، وظن أنها جاءت في غيابه وعادت الى البرية اذ لم تجده · وحزن كثيراً وصلى الى الله ألا يحرمه من رؤيتها ولقائها والتحدث اليها ، وفيما كان على هذه الحال اذ به يراها واقفة في الضفة المقابلة ، وشاهدها ترسم علامة الصليب على النهر وتعبر ماشية على الماء وكأنها تمشي على اليابسة ، فعبرت اليه دون أن تبتل ملابسها ·· وتناولت القربان المقدس من يده شاكرة الرب الذي أنعم عليها بعد خمس وأربعين سنة لتتحد به بتناول جسده ودمه الأقدسين · وكان زوسيموس قد أحضر معه بعض البقول والبلح وتوسل اليها لتأخذ ذلك معها ، فاكراماً له ونزولا عند لجاجته ،أخذت بيدها قليلا من الترمس مظهرة امتنانها منه · وطلبت اليه أن يعود اليها في العام التالي ليلتقيها في فترة صوم الأربعين في المكان الذي التقيا فيه أول مرة في البرية ··· ثم ودعته ، ورسمت علامة الصليب على النهر وعبرت سائرة على الماء كما جاءت ··· وفي العام التالي خرج زوسيموس الى البرية في صوم الأربعين وجاء الى المغارة التي لقيها فيها أول مرة فلم يجدها ثم فوجىء بمشاهدتها ساجدة ، وقد رفعت يديها الى السماء ، ولما تقدم منها وجدها ميتة ·· فبكى عليها كثيراً ·· ووجد أمامها الكلمات الآتية مكتوبة على الرمل : « أبي زوسيموس

ادفن جسد الخاطئة المسكينة مريم المصرية وضم التراب الى التراب اكراماً لربنا يسوع المسيح » · فتعجب من ذلك كثيراً خاصة وانه في اللقائين السابقين نسي أن يسألها عن اسمها فكُتب الآن اسمها على الرمل فتعزى بذلك · وحاول أن يحفر لها قبرا فلم يقو على ذلك لشيخوخته ، فأرسل الله له أسداًحفر قبرها بمخالبه وغاب ، فصلى الأنبا زوسيموس على جثمانها الطاهر ودفنها · وكانت وفاتها سنة ٤٢١ وقد بلغت من العمر ستاً وسبعين سنة وقد اكتشف ضريحها بعد أجيال ·

وبعد دفنها عاد القديس زوسيموس الى ديره وأذاع قصة القديسة مريم المصرية سارداً اياها بالتفصيل كما حكتها هي له·

والآن وقد علمنا النهاية الصالحة لهذه القديسة ، وجدنامن الفائدة بمكان العودة الى بدء قصة حياتها لاكمال مراحلها الشيقة فنسرد باختصار مقدمة هذه الحوادث التاريخية الصادقة وبقية أجزائها مستندين بذلك الى الحقائق التي أعلنتها القديسة مريم المصرية ذاتها للقديس الأنبا زوسيموس ·

□ ولادتها :

ولدت مريم على الأرجح في الاسكندرية نحو سنة ٣٤٥ من أبوين مسيحيين ، ولما بلغت الثانية عشرة من عمرها هوت في وهدة الاثم والفجور وتمرغت في حمأة الشهوات الشبابية ، ومكثت على هذه الحال الفاسدة مدة سبع عشرة سنة ·

وذات يوم أبصرت سفينة مكتظة بالحجاج القاصدين مدينة (القدس) للاشتراك في احتفال عيد الصليب والتبرك من خشبته المقدسة · فانضمت الى ركاب السفينة لتغري بعضهم وتسقطهم في الخطية ·

وفي المدينة المقدسة حاولت يوم عيد الصليب الدخول مع المؤمنين الى كنيسة القيامة ، فشعرت وكأن يداً خفية تصدها وتمنعها من الدخول بل تبعدها عن عتبة باب الكنيسة فلا تتمكن من أن تتخطاها ، وحاولت مرات عديدة ولكن دون جدوى . فانسحبت من بين المؤمنين ووقفت بعيداً تتأملهم وهم يتزاحمون ويتسابقون بالدخول الى الكنيسة بكل ثقة وايمان ، وتمنت لو كانت مؤمنة مثلهم لاستحقت أن تتبارك من خشبة الصليب التي يقصد الجمهور التبرك منها ... ولأول مرة في حياتها منذ انغماسها في الآثام ، شعرت بضميرها يؤنبها ، وأخذت تتأمل بحياتها الآثمة المليئة بالأدناس ، وتقارن ذلك بنقاء سيرتها السابقة في ظل والديها التقيين وتحت جنح آباء كنيستها الأفاضل ، عندما كانت تقوم في خلواتها وهي طفلة بصلوات حارة في الكنيسة أمام أيقونة العذراء مريم .. فتفجرت الدموع من عينيها .. وانسحق قلبها ندامة على ما هي عليه من البعد عن الله القدوس ، وعلى عدم استحقاقها وهي النجسة ، من دخول كنيسة الله المقدسة ... وناجت العذراء مريم الطاهرة النقية لتصلي من أجلها كي يتقبل الرب يسوع توبتها كما قبل توبة الخاطئة ، والعشّار ، ولص اليمين ... وشعرت حينذاك بقوة خفية تضمها الى صفوف الداخلين الى الكنيسة ، فدخلت دون أية صعوبة ، وبعد أن تبركت من خشبة الصليب ، وقفت أمام أيقونة العذراء مريم تصلي ، وتطلب منها لتشفع من أجلها ليمنحها الرب حياة الطهر والقداسة ، فجاءها صوت من الأيقونة قائلا : « اعبري نهر الاردن فهناك تجدين مكاناً لخلاصك وتنالين رضى الله . » فنذرت نفسها لله ، وصممت تكريس ما بقي من حياتها لعبادته تعالى .

وخرجت من كنيسة القيامة ، ودخلت كنيسة أخرى حيث اعترفت أمام كاهنها وتناولت القربـان المقدس ، ثم غادرت المدينة المقدسة متجهة نحو نهر الأردن وفي الطريق تصدق عليها أحدهم بثلاثة دراهم فضة ابتاعت بها ثلاثة أرغفة خبز ... فعبرت نهر الأردن منطلقة الى البرية حيث بدأت حياة النسك والتزهد ولها من العمر تسع وعشرون سنة وتعبدت في البرية سبعاً وأربعين سنة ، قاست المرائر في السنين السبع عشرة الأولى منها من محاربة ابليس لها بالتجارب الصعبة بتذكيرها بحياتها الأولى الآثمة ، واثارة رغائب الجسد الفاسدة ، وتسليط روح القنوط واليأس في قلبها لاعادتها الى أباطيل العالم ، ولكنهـا كانت تواصل الصلاة وتطلب العون من الرب فقوّاها الالـه القدير ونصرها على الشرير . وقد سلكت في حياتها النسكية في سيرة السواح الأبرار، الذين لم يكن لهم أين يسندون رؤوسهم، وكانت في حالـة اختطـاف مستمر وهي حالة الذين يعيشون للسماء وهم لا يزالون بالجسد . فبعد أن أمضت مدة مـن الزمان تقتات بأرغفة الخبز الثلاثة التي كانت قد ابتاعتهـا قبل الخروج الى البرية ، شرعت تقتات بما يصادفها من أعشاب البرية وجذور غرساتها ، وبليت ثيابها وبقيت عريانة تتحمل برد الشتاء القارس وحرّ الصيف القائظ ولم ترَ في البريـة خلال تلك الفترة وحشاً مفترساً كما لم تلق وجه انسان حتى التقاها الأنبا زوسيموس في السنة الخامسة والأربعين لنسكها وسياحتها ، ووقف على سيرتها ودوّنها كما مر بنا .

وتعيّد لهـا الكنيسـة القبطيـة الأرثوذكسية الشقيقة في السادس من شهر برمودة المصادف الأول من شهر نيسان مـن كل سنة .

أما الأنبا زوسيموس فقد عاش طويلا ، وكان بعد دفنه القديسة مريم المصرية يزورضريحها سنوياً والموضع الذيالتقيا فيه لأول مرة ، ويتشفع بها حتى انتقل الى جوار ربه وعمره مائـة سنة ٠

★ ★ ★

☐ المصــادر :

- السنكسار القبطي طبعة القاهرة عام ١٩٥١ مج ٢ ٠
- بستان الروح للراهب القس شنودة السرياني طبعة ١٩٦٠ مج ١ ٠
- الرموز المسيحية ودلالتها لجورج فيرجستون ترجمة الدكتور يعقوب جرجس نجيب طبعة مصر ١٩٦٤ ج ٢ ٠
- القديسة مريم المصرية للقمص بيشوي عبد المسيح الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٧٩ ٠
- الدر الثمين في أخبار القديسين ـ لمكسيموس مظلوم ٠
- بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية طبعة مطرانية بني سويف عام ١٩٦٨ ٠

★ ★ ★

القديس موسى الحبشي*

كاتب القصة :

ان أول من دون قصة موسى الحبشي الملقب بالأسود هو بلاديوس اسقف هلينوبليس (٤٢٥ +) الذي كان معاصراً له وعرفه معرفة جيدة (يخبرنا أنه كان حبشياً ولذلك يلقب بالأسود) .

وقد نقلت هذه القصة الى السريانية ، ذلك أن علماء قد نقلوا ، في العصور الأولى من اليونانية الى السريانية تاريخ نساك مصر المعروف بكتاب فردوس الآباء من تأليف بلاديوس(١) ومن جملة قصصه قصة موسى الحبشي .

☐ نشأة موسى :

ولد في الربع الأول من القرن الرابع(٢) ويخبرنا

★ نشرت أولا في العدد ٣٢ السنة ٢٢ من مجلتنا البطريركية عام ١٩٨٤ .

١ ـ اللؤلؤ المنثور للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة بغداد ص ١٤٩ وللقصة بالسريانية نسخ عديدة أهمها مخطوطة دير الزعفران رقم ١١٧ .

٢ ـ كتاب القديس أنبا موسى الأسود طبعة مدارس الأحد لكنيسة السيدة العذراء بمحرم بك ـ مصر عام ١٩٦٧ ص ١٧ وقد ذكر مكسيموس مظلوم في كتاب الكنز الثمين في أخبار القديسين انه ولد حوالي سنة ٣٤٠ م وقال غيره بل عام ٣٣٩ م .

بلاديوس(٣) أنه كان حبشيا ولذلك يلقب بالأسود . ويظن غيره أنه كان من احدى قبائل البربر(٤) ، وعبداً لكبير القوم فيهم . وكان هؤلاء يعبدون الشمس ، ونشأ شرس الطباع . حاقداً على أسياده ، مشاكساً يلتذ بالعنف ويرهبه الناس ويتجنبونه ، حتى أن سيده طرده اتقاء لشره ، وبلغ درجة من القوة والشراسة بحيث صار رئيس عصابة ، للسرقة ، والنهب، والقتل ، تتألف من سبعين رجلا ، ويقال انه عبر النيل ذات مرة سباحة والسيف بين فكيه ليقتل راعيا للانتقام . كان موسى أكثر أفراد القبيلة شراً ، جباراً متجبراً ويفتخر بقوته الجسمية . واتصف خاصة بالشراهة حتى قيل انه كان يأكل خروفاً كاملا ويشرب زق خمر في وقعة واحدة ، وكان متمرغاً في الشهوات الدنيئة . لا يخجل من أحد .

□ اهتداؤه الى المسيح :

ما بين العنف والقوة بون شاسع . ومن الناس من يتلذذ

---

٣ ـ ذكر بعض المؤرخين أن الأنبا موسى كان حبشيا ، وقال غيرهم انه كان من أهل النوبة والحقيقة أن لون بشرته كان أسود فظنن بأنه حبشي . ومما يؤيد ذلك أنه لم يذكر اسمه في مجمع التسبحة أو القداس الالهي وحتى في القراءات الكنسية الأخرى . أما سبب هذا الالتباس فهو أن بعضهم قد خلطوا بين الشعوب المنتمية الى العرق الأسود فقد وردت في بعض ترجمات الكتاب المقدس عن الوزير الذي عمده الشماس فيلبس بأنه حبشي ووزير قنداقة ملكة الحبشة (أع ٨ : ٢٧) والحقيقة انها كانت ملكة سبأ أي اليمن التي عرفت بالتاريخ باسم بلاد الحميريين ، كما يذكر ذلك مار أفرام في ميمره (الجوهرة) ومار يعقوب الرهاوي في رسالته الى يوحنا الأتابي ، وابن الصليبي في مقدمة الفصول العشرة . من هنا نستنتج أن موسى الأسود ولئن دعي أحيانا حبشيا فهو قد يكون مصريا من احدى قبائل البربر ولسواد لون بشرته ظن بأنه حبشي .

٤ ـ قبائل البربر .

بأذى غيره ، فيقتل ، ويدمر ، ويعذب ، ويظن أنه قد صار بذلك قوياً جباراً ، هذا هو العنف ، والعنف قوة ، ولكن ليس في مكانها الطبيعي ، كالقطار الذي يخرج عن القضبان الحديدية التي وجدت ليسير عليها ، فيندفع بعنف من مساره الطبيعي المحدد له . هكذا الانسان اذا سلك بالعنف يكون قد خرج عن شريعة الله والنواميس التي سنها له الله تعالى ليسلك بموجبها ، وبخروج هذا الانسان على شريعة الرب يتحول الى آلة بيد الشر: فيدمر ويهلك ويهدم فينهدم .

هكذا كان موسى انساناً قوي البدن جباراً ، مرعباً مخيفاً وهداماً . ولكن الله لم يتركه يخبط خبط عشواء في بيداء الخطية بل أيقظ ضميره ، وجعله يبحث عن الاله الحقيقي وهو يخاطب الشمس التي كانت قبيلته تعبدها : « هل أنت الاله الحقيقي » ؟! ويقال انه رأى رؤيا فكانت على أثر ذلك توبة مفاجئة(٥) وصادف مرة أحد المزارعين ففرش له دخلة أمره ، وكشف أمامه سره ، فأرسله هذا الى الأنبا ايسيذورس في برية شيهيت ليدله على الاله الحقيقي ، فتقلد موسى سيفه واتجه نحو البرية وصادف شيوخاً عديدين ورهباناً وعبّاداً قد تركوا العالم وفرزوا أنفسهم لعبادة الله في زهد ونسك شديدين، وقابل الأنبا ايسيذورس وارتعب هذا منه اذ رآه على تلك الحال وقد سمع عنه جرائم كثيرة . ولكن موسى هدأ من روعه وطمأنه بأنه قد جاء الى البرية مفتشاً عن الاله الحقيقي ، ومما قاله : « لما سمعت أن رهبان وادي حبيب يعرفون الله لذلك أتيت اليك لتخبرني وتسأل الله عني حتى لا يغضب علي لأجل شر أعمالي ولا يهملني لأجل قبائحي غير المحدودة » ، وكان يقول هذا وهو

---

٥ ـ أديرة وادي النطرون ـ دكتور منير شكري عام ١٩٦٢ ص ٧٣ .

يبكي بكاء غزيراً(٦) ولما سمع الأنبا ايسيذورس ذلك أيقن أن الله أرسله اليهم فشرع يعلمه مبادىء الايمان المسيحي ، ويعظه بكلام الله ويشرح له عن الخلاص بدم السيد المسيح ، وعن عواقب الانسان الثلاث : الموت والدينونة والسعادة الأبدية أو العذاب الأبدي . ثم أخذه الى الأنبا مكاريوس الكبير(٧) فوعظه هذا بدوره أيضا ، فذاب قلب موسى كما يذوب الشمع أمام النار ، لقد أخذ الله منه القلب الحجري ، وأعطاه قلباً انسانيا رقيقاً . وانكشف أمامه سر الحياة الأبدية ، واستوعب معنى نعمة الخلاص بدم المسيح حيث حلت هذه النعمة في قلبه فتجاوب معها ورحب بالخلاص فناله .

---

٦ ـ مخطوطة المتحف القبطي رقم ٤٩٦ .

٧ ـ الأنبا مقار المصري المعروف أيضا بمكاريوس الكبير ولد مسيحيا حوالي سنة ٣٠١م انضم الى رهبان وادي النطرون تحت قيادة الانبا امون حوالي سنة ٣٣٠ وقد أمضى فترة كافية من الزمن في هذا الوادي أقام أثناءها للرهبان الذين التفوا حوله ديرا عرف باسم دير أبي مقار بلغ عدد الرهبان الذين انضموا اليه فيه نحو ١٥٠٠ راهب .. ثم انتقل الى المنطقة المرتفعة الواقعة شمال شرقي هذا الوادي والتي لم تكن معروفة باي اسم الى ذلك الحين ثم عرفت بعدئذ باسم شيهات أو برية الأسقيط من عبارة معناها الناسك وتبعه الى هناك بعض الرهبان الذين أقاموا قلالي شيدوها بأنفسهم . وكانوا يحصلوا على ما يلزمهم من الماء من موارد تقع على مسافات بعيدة . وقد اشتغل الرهبان في أوقات فراغهم بصنع السلال ليضمنوا ببيعها قوتهم الضروري وكان جل وقتهم مشغولا بالعبادة ...

وكان الأنبا مقار قد تتلمذ على الأنبا أنطونيوس الكبير الذيألبسهاسكيم الرهبنة كما انه رسم قسا في حوالي سنة ٣٤٠ م ليقوم بتأدية الخدمة الكنسية وتقديم الأسرار المقدسة لجماعة رهبانه الذين التفوا حوله في برية شيهات (بوادي النطرون) فأقام لهم ديرا عرف أولا باسم دير مكسيموس ودوماريدس وهما ابنا الامبراطور خالتس المسيحي (٣٦٤ ـ ٣٧٨ م) ثم أطلق عليه فيما بعد (دير البراموس) وقد بلغ عدد رهبان هذا الدير في وقت ما ١٥٠٠ راهب وأما كلمة براموس هذه فمشتقة من اللفظ القبطي (باروميوس) الذي يعنى (للرومانيين) .

اعتراف العلني بخطاياه :

واذ أشرق نور الرب على موسى ملأ قلبه ضياء واحساساً بشناعة الخطية فأبغضها ، وندم كثيراً على ما اقترفته يداه من جرائم كبيرة وآثام لا تحصى • وتاب عنها ، وحتم أن لا يعود الى عيشة الشر ، وزالت رغبة العنف من رأسه وقلبه ، واعترف علانية أمام المؤمنين في الكنيسة معدداً جميع خطاياه السالفة معلناً ندامته الصادقة • وكان الأنبا أبو مقار أثناءالاعتراف يشاهد لوحاً عليه كتابة سوداء وكلما اعترف موسى بخطيئة مسحها الملاك حتى اذا انتهى من الاعتراف وجد أبو مقاراللوح أبيض ناصعاً •

واختبر الآباء ، مدة كافية من الزمن ، صدق توبة موسى، ثم عمده الأنبا ايسيذورس(٨) ، وعملت نعمة الله في قلبهفصار انساناً جديداً « اذاً ان كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة •

= وقد اتخذ الأنبا مقار الكبير أربعة مساكن مختلفة في الصحراء كان يتنقل بينها أحدها في منطقة شيهات الداخلية وآخر في جهة تدعى ليبوس وثالث بمنطقة القلالي ورابع على جبل نيترياوكان بعضها لا يحتوي على أي منافذ كما كان أحدها من الضيق بحيث لا يتسع لمد رجليه داخله • وكان أحدها معدا لمقابلة زواره ومريديه •

ففي سنة ٣٥٧ م سافر الى جزيرة فيلا باسوان فبشر أهلها بالمسيحية فاعتنقوها بتأثير المعجزات التي أجراها الله على يديه • وبعد فترة صدرت الأوامر بعودة القديس الى مقره في برية شيهات حيث استانف عمله في ارشاد وتثبيت رهبانه وتدبير شؤونهم •

وكتب رسائل لاهوتية دحض فيها مزاعم الفلاسفة الوثنيين نقلت الى الفرنسية وطبعت في باريس •

وقد تنيح بسلام في حوالي سنة ٣٩١ وقد بلغ من العمر تسعين عاما •

٨ ـ مخطوطة المتحف القبطي رقم ٤٩٦ •

الأشياء العتيقة قد مضت · هوذا الكل قد صار جديدا » (٢ كو ٥ : ١٧) وهكذا ارتاح موسى من عناء الخطية اذ لبَّى نداء الرب القائل : « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني · لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هيِّن وحملي خفيف » (مت ١١ : ٢٨) ·

واكتشف موسى أن العنف ليس قوة وانما القوة تكمن في انتصار الانسان على أهوائه الشريرة ، وان الانسان ولئن كان ضعيفاً ، اذا اتكل على المسيح يسوع ، بامكانه أن يحيا حياة البر والقداسة لأن الرب يقول « قوتي في الضعف تُكمل » (٢ كو ١٢ : ٩) وهكذا أيقن موسى أن المسيح هو الطريق والحق والحياة ، فآمن به سالكاً طريقه متمسكاً بحقه ، وكان يحيا في المسيح فصار في سلام مع الله ، ومع نفسه، ومع القريب·

□ الباسه الاسكيم الرهباني :

وطلب موسى من الأنبا ايسيذورس أن يلبسه اسكيم الرهبانية ، فنصحه هذا أن يرجع الى المدينة ويعيش حياة نقية كسائر المؤمنين الصالحين فيها · لأن حياة الرهبانية والنسك في البرية قاسية جداً ، ولا يمكنه أن يتحملها بالمقارنة مع ماضيه ، كما أنه سيصير هزءاً وسخرية اذا بدأ ولم يتمكن من أن يكمل ويرجع حينذاك الى عيشته السابقة · أما موسى فأصر على أن يحيا في البرية وتضرع الى مرشده أن يلبسه الاسكيم الرهباني ، ولما تأكد ايسيذورس من صدق نيته وميله الشديد الى حياة الزهد ألبسه الأسكيم الرهباني ·

وأبدى موسى في حياته هذه الجديدة غيرة وقَّادة فكان

يواصل الصلوات المقترنة بالسجود ليل نهار ، مكثراً من الأصوام الصارمة ، واذا أكل فكان يكتفي بوجبة واحدة في اليوم يتناول فيها قليلا من الخبز اليابس والماء ، ساكباً الدموع السخينة والسخية التي وصفت بأنها كانت مثل الماء الساقي · كما كان يسهر أحياناً طوال الليل وعيناه مفتوحتان من غير رقاد ،ودون أن يجلس على الأرض لئلا تأخذه قوة النوم اغتصاباً · وكان يرعاه في البرية مرشدان روحيان خبيران في حياة الرهبنة وهما الأنبا مكاريوس الكبير ، والأنبا ايسيذورس ، وكان يطيعهما خاضعاً لأوامرهما ، فاستقرت قدماه على صخرة التوبة النصوح (٩) ·

☐ بعض التجارب التي طرأت عليه :

وحاربه ابليس عدو الخير حرباً ضروساً لا هوادة فيها ، فكان يزيِّن له لذة أهواء الجسد ، وضرورة اتباعها ، فهو كبشر ، لا بد من أن يأكل ويشرب جيداً ، ليغذي جسده ، كما بدأ الصراع الداخلي العنيف بين حياته الأولى المليئة بالآثام وبين الحياة الملائكية الطاهرة التي يحياها في البرية بسلام مع الله · وأخذ ابليس يثير في قلبه رغبة العنف حتى في ميدان محاربته ابليس ذاته ، وكان يتوق الى العودة الى حياته الأولى عندما كان يلتذ بأن يؤذي الناس · ولما اشتدت عليه وطأة الأفكار الشريرة، وأنهكه الجهاد المستمر ضدها لدرجة أنه صار على قاب قوسين أو أدنى من السقوط باليأس والعودة الى حياة الخطية ، هرع الى مرشده الروحي الأنبا ايسيذورس طالباً اليه أن يخلصه من

---

٩ ـ كتاب القديس الأنبا موسى الأسود ـ مدارس أحد كنيسة السيدة العذراء ص ١٠ ·

هذا المأزق الحرج ، ويصلي لأجله لئلا يفقد النعمة التي نالها من الرب • فكان هذا يعزيه ويصلي معه ولأجله ويرشده قائلا: « لا تحزن هكذا وأنت ما زلت في بدء الصعوبات ولمدة طويلة سوف تأتي رياح التجارب وتقلق روحك فلا تخف ولا تجزع وأنت اذا ثابرت على الصوم والسهر واحتقار أباطيل هذا الدهر سوف تنتصر على شهوات الجسد »(١٠) وأمره بأن يعود الى قلايته ويلزم الهدوء والسكينة فيها ، فعاد الراهب موسى الى قلايته ، ولازمها بحياة انفراد صارمة ، ملتجئاً الى الرب يسوع • وهكذا غلب ابليس بعد جهاد روحي اقترن بالانسحاق أمام الله والاتكال التام عليه تعالى • فتخلص الراهب موسى من الرذائل ،.وبدأ بممارسة الفضائل •

□ التواضع من ثمار التوبة :

وأكثر ما تمسك به الراهب موسى هو فضيلة التواضع ، ومن طريف أساليبه في ممارستها أنه كان يمر ليلا بقلالي الشيوخ في الدير ويحمل جرارهم الى البئر التي كانت تبعد عن الدير مسافة طويلة ، ويملأ الجرار ماء ويعيدها الى مكانها دون أن يعلم الشيوخ من فعل ذلك • وبعد سنين كثيرة ، حسده ابليس وأبغضه كثيراً والتقاه مرة على البئر وضربه ضرباً مبرحاً كاد يودي بحياته ، وتركه بين حي وميت • فجاء بعض الاخوة وحملوه ومضوا به الى الكنيسة حيث أقام ثلاثة أيام ، تماثل بعدها للشفاء• فعاد يمارس فضيلة التواضع كما فعل سابقاً متحدياً ابليس وجنده • ومرة أخرى ضربه ابليس بقرحة في رجله أقعدته طريح الفراش مدة ليست بقصيرة • ولما

١٠- بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية بالعربية طبعة مطرانية بني سويف عام ١٩٦٨ م ص ٦٤ •

اكتشف أنها نوع من أنواع محاربة الشيطان له ازداد نسكاً ، وزهداً ، وعبادة ، حتى صار جسده كخشبه محروقة · ومنّ عليه الرب بالشفاء لتحمله التجربة بتواضع وذلة وصبر جميل دون تذمر أو ضجر ·

ولمس مرشده الأنبا ايسيذورس قوة ايمانه بالرب واتكاله عليه في محاربة ابليس فقال له مرة : « وأنا أؤمن أيضا بسيدي يسوع المسيح وأقول لك : باسم يسوع المسيح من الآن فصاعداً سوف تبطل الشياطين محاربتك » وقال له أيضاً : « امض الى البيعة المقدسة وتناول من الأسرار الالهية » ، وكان يواظب على تناول القربان المقدس · ومن ذلك الوقت عاش الأنبا موسى في سلام نسبي ، وازداد حكمة ، ونما في الكمال المسيحي والنعمة ·

□ كرمه وحسن ضيافته :

وطارت له شهرة في الاسقيط وفي نترا ، وقصده زوار كثيرون ، واتصف خاصة بمحبة الغرباء والاهتمام بهم وضيافتهم والاعتناء بخدمتهم بتواضع واستقبالهم ببشاشة ، وفي هذا الميدان قيل ان رهبان الاسقيط فرضوا مرة أسبوعاً يصومونه جميعهم فاتفق في أثناء ذلك أن ضيوفاً نزلوا على الراهب موسى فجعل يطبخ لهم ، فلما رأى الرهبان الدخان المتصاعد من قلايته شكوه لكبارهم وحاولوا تأنيبه أمامهم ، ولكن هؤلاء أجابوهم أن محبة القريب أفضل من الصوم وقالوا لموسى: لقد عصيت أوامر الناس لكنك حفظت وصية الله التي هي المحبة (يو ١٣ : ٣٤) بما يدعو للعجب (١١) ·

١١ـ الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة لايسيذورس · طبعة مصر ١٩٢٣ مج ١ ص ٥٦٩ ·

رسامته كاهناً :

بعد سنين عديدة اجتمع لديه نحو خمسمائة أخ فصار مرشداً لهم في حياة الرهبنة والزهد ، وانتخبوه ليرسم كاهنا · فأراد الأسقف أن يمتحنه ، فقال للكهنة : « اذا جاء الراهب موسى الى المذبح اطردوه ولنسمع ماذا يقول» فلما دخل انتهروه وطردوه قائلين له : « اخرج أيها الأسود الى خارج الكنيسة » فأطاع موسى وخرج · وسمعه أحد الشمامسة وهو يناجي نفسه قائلا « لقد فعلوا بك ما تستحقه ، فأنت لست بانسان ، وقد تجرأت على مخالطة الناس وأنت أسود اللون فلماذا تجلس معهم » ! ؟ ·

ويقال ان الأنبا ايسيذورس أخذه بعد هذه التجربة الى مدينة الاسكندرية وقدمه الى البطريرك ثاوفيلوس فوضع عليه اليد ورسمه كاهناً · وقيل أيضاً انهم لما دخلوا به أمام المذبح وهمَّ البطريرك بوضع اليد عليه سمعوا صوتاً أتى من أعلى قائلا : مستحق مستحق مستحق(١٢) ·

وقيل له بعد أن لبس ثوب الخدمة الكهنوتية الأبيض : « ها انك قد صرت كلك أبيض يا أنبا موسى ! » أما هو فأجاب في اتضاع وقال « ليت هذا يكون من الداخل كما من الخارج » ·

هروبه من المجد الباطل وعدم ادانته أحداً :

اشتهر الأنبا موسى بهروبه من المجد الباطل ، فكان يحب الجلوس في القلاية مدداً طويلة دون أن يخرج منها ، وهو منهك بالصلاة ونسج الخوص · وقد قال مرة لأحد

١٢ـ عن مخطوطة المتحف القبطي ·

■ القديس موسى الحبشي ■

الاخوة : « امضِ واجلس في قلايتك ، والقلاية سوف تعلمك كل شيء صالح » ٠

وكانت محبته للقريب فائقة جداً « والمحبة تتأنى وتَرفق ٠ المحبة لا تحسد ، المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبِّح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وتصبر على كل شيء » (١ كو ١٣ : ٤ ـ ٧) لذلك لم يدن موسى أحداً أبداً ٠

ويحكى أن أحد الاخوة في الاسقيط أخطأ مرة ، فانعقد مجلس الآباء لمحاكمته ، واستدعي الأنبا موسى أيضاً ، فامتنع عن الحضور فجاءه أحد الآباء يكرر عليه الدعوة قائلا : « ان الآباء كلهم ينتظرونك » فقام وحمل وراء ظهره كيساً مثقوباً ملأه رملا وجاء ووقف في وسط المجلس ٠ فلما رآه الآباء هكذا سألوه قائلين : ما هذا أيها الأب الموقر ؟ فأجابهم قائلا: انها خطاياي الثقيلة وراء ظهري تجري دون أن أبصرها ، وقد جئت اليوم لادانة غيري ٠ فلما سمعوا ذلك غفروا للأخ المذنب(١٣) ٠ ومن أقواله : « اياك أن تسمع سقطة أحد اخوتك لئلا تدينه خفية » وقال أيضاً : « انه الأفضل للانسان أن يقدم ذاته للموت من أن يدين قريبه ويعيب عليه في أي شيء » ٠

□ استشهاده :

وقد وهبه الله مواهب عديدة منها طرد الشياطين باسم المسيح يسوع ربنا ٠ ويقال ان الشياطين كانت كالذباب تهرب

١٣ـ بستان الرهبان ص ٦٨ وبلاديوس ص ١٢٢ ٠

من أمام وجهه • وكان يصلي على المرضى فينالون الشفاء •

وكان مرة مع الشيوخ في زيارة الأنبا مكاريوس الكبير ، فقال القديس مكاريوس : اني أرى فيكم واحداً له اكليل الشهادة • فأجابه الأنبا موسى متنبئاً عن نفسه قائلا : لعلي أنا هو لأنه مكتوب « الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون » (مت ٢٦ : ٥٢) ولم يمض على هذه النبوة مدة طويلة ، حتى كررها الأنبا موسى بوضوح قائلا للاخوة « سوف يقبل البربر اليوم الى البرية ، فاهربوا أنتم » قالوا له : « ألا تريد أنت الهرب يا أبانا » ؟ أجابهم قائلا : « طوال هذه السنين وأنا أنتظر هذا اليوم » قالوا : « نحن أيضاً لانهرب ولكن نموت معك » فأجابهم قائلا : « هذا ليس شأني انما هي رغبتكم ، ليهتم كل انسان بنفسه » وكانوا سبعة اخوة • وبعد برهة من الزمن قال لهم « هوذا البربر يقتربون الى الباب ، فدخل البربر وقتلوهم ولكن واحداً(١٤) منهم كان خائفاً فهرب واختبأ بين الحصر ورأى سبعة أكاليل نازلة من السماء توجت الستة وبقي السابع ، فتقدم السابع أيضاً ونال معهم اكليل الشهادة، وكان ذلك حوالي سنة ٤٠٨ م وكان عمر القديس الأنبا موسى نحو ٧٥ سنة (١٥) وهو أول شهيد في آباء برية الاسقيط • وكان البربر للمرة الأولى يهجمون على تلك البرية وقدسبب

١٤ـ بستان الرهبان ص ٦٨ وجاء في الحاشية ما يأتي : روت المخطوطة ٣٥٧ طقس بالمتحف القبطي في القاهرة « أن هذا الأخ الذي هرب واختفى ، أبصر ملاك الرب والأكاليل بيده وللوقت خرج مسرعا أمام البربر فقتلوه ونال أكليل المجد من يد الملاك » •

١٥ـ كتاب القديس موسى الأسود مكتبة كنيسة العذراء بمحرم بك ص ٦٥ عن مخطوطة قبطية باللهجة الصعيدية بكتاب Le Manuserite de le Verrion Copte ومخطوطة بالمتحف القبطي بالقاهرة رقم ٣٥٧ طقس •

هجومهم تشتت الرهبان وظلت البرية خربة بعض الوقت ومهجورة ·

وذكر الأنبا موسى في السنكسار القبطي هو في ٢٤ بونه المصادف ١٨ حزيران ، وتذكره الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مجمع القديسين في القداس الالهي وفي التسبحة · وجسده الآن في دير برموس في برية (أبومقار) ·

أقوال مأثورة للقديس الأنبا موسى الأسود

- خوف الله يطرد جميع الرذائل ، والضجر يطرد خوف الله ·
- كما يفعل السوس في الخشب كذلك الرذيلة في النفس ·
- أربعة هي عون الراهب الشاب : الهذيذ في ناموس الله كل ساعة ، ومداومة السهر ، والنشاط في الصلاة ، وألا يعتبر نفسه شيئاً ·
- أربعة مصدر ظلمة العقل :
مقت الرفيق ، والازدراء به ، وحسده ، وسوء الظن به ·
- الحفظ من الفكر الرديء يأتي من : القراءة في كتب الوصايا ، طرح الكسل ، القيام في الليل للصلاة والابتهال ، التواضع دائماً(١٦) ·

☐ **الكحول الهدامة :**

ـ لا تحب الخمرة لئلا تحرمك من رضى الرب(١٧) ·

١٦ـ عن بستان الرهبان ص ٦٩ و ٧١ ·
١٧ـ فيه ص ١٦٩ ·

☐ العفـــة :

- الذي يتهاون بعفة جسده يخجل في صلاته(١٨) ·
- قهر الشهوة يدل على تمام الفضيلة ، والانهزام لهـــا يدل على نقص المعرفة(١٩) ·

☐ النــــوم :

- الشبع من النوم يثير الأفكار ، وخلاص القلب هو السهر الدائم · النوم الكثير يولد الخيالات الكثيرة ، والسهر بمعرفة يزهر العقل ويثمره · من ينام بمعرفة هــو أفضل ممن يسهر في الكلام الباطل(٢٠) ·

☐ ضبط اللسان :

- كمثل بيت لا باب له ولا أقفال ، يدخل اليه كل من يقصده ، كذلك الانسان الذي لا يضبط لسانه ·
- من يهتم بضبط لسانه فهو محب للفضيلة ، وعدم ضبط الانسان لسانه يدل على أن داخله خال من أي عمـــل صالح ·
- احفظ لسانك ليسكن في قلبك خوف الله(٢١) ·

☐ تعب الجســد :

- اتعب جسدك لئلا تخزى في قيامة الصدّيقين ·
- اذا سكنت مع اخوة فلا تأمرهم بعمل ما · بل اتعب معهم لئلا يضيع أجرك ·
- لا تحب الراحة ما دمت في هذه الدنيا(٢٢) ·

١٨- فيه ص ١٩٦ ·
١٩- فيه ص ٢٠١ ·
٢٠- فيه ص ٢٠٢ ·
٢١- فيه ص ٢٠٧ ·
٢٢- فيه ص ٢١٨ ·

☐ اعمل لأن البطالة مفسدة النفس :

- اياك والبطالة لئلا تحزن ، أحرى بك أن تعمل بيديك ليصادف المسكين منك خبزة ، لأن البطالة موت وسقطة للنفس(٢٣) .

☐ الوحـدة :

- لا يكن لك رجاء في هـذا العالم لئلا يضعف رجاؤك في الرب .
- أبغض كلام العالم كي تبصر الله بقلبك لأن الذي يخلط حديثه بحديث أهل العالم يزعج قلبه(٢٤) .

☐ الجهـاد :

- من يتحمل ظلماً من أجل الرب يعتبر شهيداً .

ومن يتمسكن من أجل الرب يعوله الرب .

ومن يصر جاهلا من أجل الرب يحكمه الرب .

وقد شرح الأنبا موسى أقواله هذه بالتفصيل في خطاب أرسله الى الأنبا نومين(٢٥) .

☐ اليقظـة في الصلاة :

- كن متيقظاً في صلاتك (أي اجمع عقلك وفكرك) لئلا تأكلك السباع الخفية .
- لنقتنِ لأنفسنا الشوق الى الله، فان الاشتياق اليه يحفظنا من الخَطية .
- ينبغي لنا أيها الحبيب أن نجتهد بقدر استطاعتنا بالدموع أمام ربنا ليرحمنا بتحننه . لأن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح(٢٦) .

٢٣- فيه ص ١٢٩ .

٢٤- فيه ص ٢٢٧ .

٢٥- فيه ص ٢٥٩ .

٢٦- ص ٢٧٩ و ٢٨٠ .

ديـر مـار موسـى الحبشـي

في النبـك ـ سوريـا

يذكر التاريخ الكنسي شخصين باسم « مـار موسـى الحبشي » كان أحدهما رئيس عصابة لصوص وتاب وترهب في مصر وقد سردنا سيرته بالتفصيل آنفاً ٠

أما الآخر فهو من قديسي أواخر القرن السادس وأوائل السابع للميلاد ، وكان من سلالة ملوك الحبشة ترك بلاط الملك وزهد بالدنيـا ، ولبس الاسكيم الرهبانـي ، وقصد سوريا وتنسك في دير سرياني أرثوذكسي شيد في أوائل القرن السادس بجوار النبك ٠ وسمي باسمه بعدئذ ٠ ذلك أنه نال اكليل الشهادة على يد هرقل أحد أباطرة بيزنطية (٦١٠ ـ ٦٤١) لتمسكه بالعقيدة الأرثوذكسية بعروة وثقى ورفضه مجمع خلقيدونية ومذهب الملك البيزنطي ٠ فان هرقل هذا بعد عودته مـن حرب الفرس عرج على الدير الواقع في الجبل المسمى بالجبل المدخن قرب النبك ، وقتل العديد من رهبانه ومن جملتهم الأب موسى الحبشي ، وتشتت الآخرون لرفضهـم المذهـب الخلقيدوني(٢٧) ويذكر لمـار موسى الحبشي هـذا عجائب لا تحصى ٠

٢٧ـ الخريدة النفيسة ـ للأسقف ايسيذورس ـ مصر مج ١ ص ٥٦٦ ٠

وكانت أصبع القديس الشهيد محفوظة في ديره حتى سنة ١٨٧٠ ثم نقلت الى مكان مجهول ٠

وجدد بناء هذا الدير عام ١٥٥٦ وصار كرسياً أسقفياً في أواخر القرن الرابع عشر وتخرج فيه بطريركان وعشرون أسقفاً ، وكان يحوي مكتبة عامرة ، وجلس عليه أساقفةأفاضل كان آخرهم اياونيس الياس بن يشوع الأصفر الموصلي من دير مار متى الذي رسم مطرانا لدير موسى الحبشي وللنبك وعمّر الدير من ماله الخاص وتوفي غريباً في قارا عام١٨٣٢ مغلوباً على أمره لرسامة خلفه ضده ، وكان رئيساً للديرحتى ٣٠ آب ١٩٣١ ثم خلفه غريغوريوس متى نقار المكار الذي التحق بالباباوية واغتصب هـذا الدير منـا بنفوذ سياسي أجنبي(٢٨) ومنذئذ صار دير مار موسى الحبشي بيد السريان الكاثوليك وأمسى خالياً ٠

واشتهر هذا الدير باللوحات الفنية الجميلة التينقشت على جدرانه وما زبر من صور وزخارف على أعمدةكنيسته٠

واليوم هو خرب ينعق البوم بين أطلاله وتبكيحجارته الآباء القدامى القديسين ٠

★ ★ ★

٣٨ـ تاريخ الأبرشيات السريانية للبطريرك العلامة أفرام الأول برصوم ـ المجلة البطريركية السريانية السنة الخامسة عام ١٩٣٨ ص ١٤٥ والسنة السادسة عام ١٩٣٩ ص ١٣٧ ـ ١٣٩ وأوراق متناثرة مخطوطة بالعربية له أيضاً ٠ واللؤلؤ المنثور له طبعة بغداد ١٩٧٦ ص ٥١٥ ٠

القديسة الشهيدة بربارة

(+٢٣٥)

□ تمهيد :

أجمعت الكنائس الرسولية عامة، والمشرقية منها خاصة، على تكريم القديسة الشهيدة بربارة ، والتشفع بها ٠ انما اختلف المؤرخون في تحديد زمن ولادتها واستشهادها ٠ فقد ارتأى بعضهم انها نالت اكليل الشهادة عام ٢٣٥ م ابان الاضطهاد السابع الذي أثاره ضد المسيحية الامبراطور مكسيميانس الغوثي الأصل (٢٣٥ ـ ٢٣٧) ومما يؤيد صحة هذا الرأي ، ما جاء في قصتها أنها راسلت العلامة أوريجانس المتوفى عام ٢٥٥ م وقد أخذنا بهذا الرأي في كتابتنا قصتها هذه ٠

أما الرأي الثاني فيعتبرها احدى شهيدات الاضطهاد العاشر الذي أثاره الامبراطور ديوقلطيانس في أوائل القرن الرابع وانها استشهدت عام ٣٠٣ م (١) ٠

ورغم اختلاف الروايتين في تحديد تاريخ ميلاد القديسة بربارة واستشهادها ، ولكنهما تتفقان في ذكر اسم نيقوميدية المدينة التي ولدت فيها ونشأت واستشهدت ، واسم أبيها

١ ـ الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للبطريرك العلامة أفرام الأول برصوم طبعة حمص ١٩٤٠ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ ٠

ديوسقوروس ، وفي سرد تفاصيل مراحل حياتها ، وكيفية محاكمتها واستشهادها ، وما رافق ذلك من العجائب الباهرة، ونجد هذا التوافق في مختلف النصوص التي دونت بلغات شتى• وقد اعتمدنا في كتابة قصتها هنا على النصوص السريانية والعربية والانكليزية للكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية •

□ ولادتها ونشأتها :

ولدت بربارة في أوائل القرن الثالث للميلاد في مدينة نيقوميدية(٢) من أعمال بيثينية ، وكانت الابنة الوحيدة لوالدها ديوسقوروس الوثني المتعصب الذي اشتهر في قومه بالغنى الفاحش والجاه مع قساوة القلب وكره شديد للدين المسيحي والمسيحيين• أما وحيدته بربارة فكانت دمثة الأخلاق، لطيفة متواضعة ، تحب الناس كافة • واذ ماتت والدتها وهي في ميعة الصبا ، أقام أبوها لها حراساً لتبقى قابعة ، عقر قصره المنيف • كما جلب لها أساتذة بارعين يلقنونها شتى العلوم اللغوية والفلسفية والتاريخية لتنشأ كسائر فتيات الأغنياء في عصرها مثقفة ثقافة دنيوية ودينية وثنية • كما ملأ أبوها جوانب قصره أصناماً لشتى الالهة التي كان يعبدها لتتمثل به وحيدته في السجود لها والتبخير أمامها •

□ تنصرها :

نالت بربارة ثقافة دنيوية عالية ، ولكنها كانت تشعر بفراغ كبير في عقلها وقلبها ، وبعكس أبيها احتقرت الأصنام

---

٢ ـ نيقوميدية : مدينة قديمة شمال غربي آسيا الصغرى ، على موقعها اليوم مدينة ازميت التركية ، أعاد تاسيسها نيقوميدس (٢٦٤ ق•م) • دمرها القوط ٢٥٨ واختارها دقلديانوس عاصمة شرقية • واحتلت القسطنطينية مكانها (عن الموسوعة العربية الميسرة) •

التي لا حس لها ولا حياة ، وبدأت تبحث عن الاله الحقيقي ، الذي خلق السماء والأرض ، وكان بين خدمها بعض المسيحيين فاستفسرت منهم عن الههم الذي لا يسكن في الحجارة ، فشرحوا لها أصول الدين المسيحي وأشاروا عليها لتراسل العلامة أوريجانس أستاذ مدرسة الاسكندرية الكبير ، الذي بامكانه أن يبسط أمام أمثالها من المثقفين والمثقفات حقائق الدين المبين بطريقة فلسفية • فكتبت بربارة الى أوريجانس بمايدور في رأسها من أفكار دينية فلسفية • وطلبت اليه أن يتنازل ليكون معلماً لها ، فابتهج أوريجانس بذلك وأجابها على رسالتها موضحاً حقائق الايمان المسيحي ، وأرسل كتابه بيد تلميذه الأب فالنتيانس(٣) الذي أوصاه أن يشرح لبربارة بالتفصيل تعاليم الرب يسوع • ولما قرأت بربارة رسالته امتلأت من الروح القدس ، وبشجاعة فائقة أدخلت فالنتيانس الى قصرها ليكون أحد أساتذتها • فلقنها أصول الايمان المسيحي ، وشرح لها عقيدة التجسد الالهي وبتولية العذراء مريم والدة الاله • وبعد أن تعمقت بأصول الدين القويم طلبت أن تنال نعمة العماد فعمدها الأب فالنتيانس • فكرست نفسها للرب يسوع وكانت تواظب على الصلاة والتأمل بسيرة الفادي سواد ليلها ، وبياض نهارها، وازداد احتقارها للاصنام التي ملأ أبوها القصر فيها •

رفضها الزواج بوثني :

وطلب يدها أحد أبناء النبلاء من الوثنيين في نيقوميدية، ففاتحها أبوها بذلك فرفضت الاقتران به ، محتجة برغبتها

---

٣ ـ لا يستبعد أن يكون أوريجانس نفسه التقاها حيث يذكر في سيرته أنه تجوّل في أثينا ونيقوميدية وقيصرية كبادوكية ابّان اضطهاد مكسيميان سنة ٢٣٥ ـ ٢٣٧ م •

■ القديسة بربارة ■

في البقاء الى جانب أبيها ، وصعوبة فراقه والابتعاد عنه . فقرر أبوها أن يعودها البقاء دونه فسافر الى مدينة أخرى بضعة أيام .

☐ تحطيمها الأصنام وتقديسها الثالوث :

وانتهزت بربارة فرصة غياب أبيها عن القصر . فأكثرت من الصلاة والصيام والتأمل ، بالكتب المقدسة وسيرالقديسين من الشهداء والشهيدات ، كما حطمت أصنام أبيها الكثيرة المنتشرة في جوانب القصر . وكان أبوها قد أمر أن يشيد لها في القصر حمام" خاص ويفتح فيه شباكان ، ففي غيابه آمرت البنائين أن يفتحوا شباكاً ثالثاً كي يكون عدد الشبابيك التي يدخل خلالها النور على عدد الثالوث الأقدس .

☐ ظهور السيد المسيح لها :

وظهر لها الرب يسوع بهيئة طفل صغير جميل جداً ، فُسرت بذلك لحظات من الزمن وانقلب سرورها حزناًعميقاً لما تغيرت هيئة الطفل الالهي ، اذ تخضب جسمه بالدمفتذكرت الفادي ، وتحمله الآلام والصلب في سبيل فداء البشرية . وكانت الملائكة تظهر لها وتعزيها وتشجعها . وهكذا عاشت بربارة السماء وهي على الأرض وشابهت الملائكة طهراً ونقاء .

☐ معرفة أبيها بتنصرها :

عندما عاد ديوسقوروس من رحلته ووجد أن ابنته بربارة قد حطمت أصنامه ، هاج كالوحش الكاسر وأوشك في سورة غضبه أن يقضي عليها ضرباً وتجريحاً ولكنها هربت من أمام وجهه . وبعد أيام فاتحها ثانية بأمر تزويجهامن شاب

وثني من علية القوم ، فرفضت معلنة له بأنها قد وهبت نفسها للرب يسوع ، فخرج عن طوره وكاد أن يفتك بها معتبراً كلامها اهانة له ، ولدينه الوثني ، ثم بدأ يوضح لها مغبة عملها المشين اذا هي أصرت على البقاء على مسيحيتها ورفضت الدين الوثني . وكيف أنه سيفقد مركزه المرموق في الدولة ومكانته الممتازة بين قومه وأبناء جلدته وأشراف مدينته . وان هي أنكرت الدين المسيحي وارتدت الى عبادة الأوثان فسيبذل لها المال الكثير ويوفر لها السعادة والهناء . أما اذا أصرت على البقاء على المسيحية فسيغسل عاره بسفك دمها بيده . فطلبت اليه بربارة بدموع سخية أن ينصت اليها ولو مرة واحدة في حياتها ، بعد أن يهدأ من ثورته . وشرعت تشرح له بطلان عبادة الأوثان التي لا حياة لها وهي من صنع الانسان ، وضرورة تقديم العبادة للاله الحي القيوم والرب يسوع المسيح ابن الله الحي الذي تنبأ عن مجيئه الأنبياء ، فتجسد من الروح القدس والعذراء مريم وخلص البشرية بسفك دمه الكريم على صليب الجلجلة .. فاحتدم غضب ديوسقوروس وكاد أن يبطش بها وشكا أمرها الى حاكم المدينة .

☐ اعترافها بالمسيح جهراً :

بناء على شكوى ديوسقوروس ، استدعى مرقيانس حاكم نيقوميدية الفتاة بربارة ليحاكمها أمام جمهور غفير . وحاول اغراءها بادئ الأمر بالوعود الذهبية ، ولكنه باء بالفشل الذريع اذ أظهرت له بربارة احتقارها لكل ما في العالم من مال وجاه ومركز مرموق ، وافتخارها بالمسيح يسوع واستعدادها تحمل الآلام والموت في سبيله . فأمر الحاكم جنوده فكبلوها بسلاسل ثم عرّوها من ثيابها وجلدوها بسياط مسننة أطرافها

الحديدية وحادة كالسكاكين . فتمزق جسدها الطاهر وسالت دماؤها الزكية وهي صابرة صبر القديسين ، لا تشتكي ولا تبكي ولا تئن ولا تفوه بكلمة بذيئة بل تمجد المسيح يسوع الذي أهلها أن تنال الآلام لأجل اسمه القدوس . وتسأله أن يمنحها القوة والحكمة لتعترف به أمام الناس ليعترف بها هو أيضاً أمام أبيه السماوي . ثم أمر الوالي فألقيت في غياهب السجن ، واستقدمها في اليوم التالي لاستجوابها ثانية أمام جمع غفير من الناس الذين تعجبوا جداً اذ رأوا جسمها خالياً من آثار السياط ، فقد شفى السيد المسيح جروحاتها كلها . وحاول الحاكم ثانية اغراءها واذ لم تؤثر فيها أيضاً وعوده ووعيده ، أمر جنوده فهشموا ساقيها بأمشاط من حديد ، وحرقوها بمشاعل موقودة ، وأكثروا الضرب على رأسها وقطعوا ثدييها ، ثم ملّحوا جسدها المثخن بالجروح ، وأخذوا يجلدونها بضراوة وهي تسبح الله وتعترف بايمانها بالمسيح .

☐ يوليانة تؤمن بالمسيح :

ولم يتمالك المشاهدون من أن يذرفوا الدموع منذهلين من صبرها الجميل ، وآمن العديد منهم بالمسيح يسوع الذي قوّى ايمان بربارة لتتحمل العذاب بابتهاج في سبيل الايمان به . ومن بين هؤلاء المشاهدين امرأة وثنية اسمها يوليانة التي آمنت بالمسيح بمعاينتها الكرامات في جهاد بربارة ، وحل عليها الروح القدس فملأها شجاعة روحية فتقدمت الى الحاكم على مشهد من جمهور غفير ، وأعلنت ايمانها بالمسيح يسوع واستعدادها لتحمل الآلام في سبيل ذلك . فأمر الوالي جنوده ليوقعوا بها العذاب فأذاقوها أعذبة لا تطاق حتى فاضت روحها الطاهرة الى السماء ونالت اكليل المجد مع اكليل الشهادة .

☐ مواصلة جهـــاد بربارة وتحملها العذاب :

أما بربارة فأعادوها الى سجنها المظلم حيث باتت ليلتها ، وفي صباح اليوم التالي قادوها للمرة الثالثة مكبلة بالسلاسل وأوقفوها أمام الحاكم على مشهد من جمهور غفير ، وكم كانت دهشة الناس عظيمة اذ رأوها بكامل صحتها ولا أثر للجروح في جسدها الطاهر • ونسب الوالي شفاءها الى آلهته الباطلة ، وقال لهـا مكابراً ، انظري كيف أن آلهتنـا قد أشفقت عليك ومنحتك الشفاء لتهب لك فرصة جديدة لعبادتها وحرق البخور لها أمام هذا الجمهور الحافل • فأجابته بربارة ببسالة قائلة : لو كان لأصنامك حياة لاستطاعت أن تحمي نفسها يوم حطمتها في قصر أبي • أما الذي ضمد جروحي ومنّ عليّ بالشفاء فهو المسيح يسوع ربي ، الاله الحي الذي هو القيامـــة والحياة وبقدرته الفائقة يعيد الحياة الى الموتى • والآن ولئن تسلموني الى الموت فلسوف يحييني ربي ويقيمني في اليوم الأخير مـــن قبري لأرث معه ومع شهدائه ملكوتــه السماوي • فاستشاط الحاكم غضباً وأمر جنوده فأمعنوا في تعذيب بربارة حتى سال دمها النقي على الأرض بغزارة وهي تصلي ليمنحها الرب قوة على تحمل الالام لأجله • كما أمر الحاكم بقطع رأسهـا بحد السيف بعد جرها في شوارع المدينة عارية ، فسترها الله بضياء سماوي •

☐ استشهادها بيد أبيهـا :

وطلب أبوها من الحاكم أن يأذن له بقطع رأسها بيده ، فسمح له بذلك • فقادها أبوها الى خارج المدينة ، وهو يزبد كالكلب المسعور • والناس حوله يهزون رؤوسهم مـــن هول الموقف ، متعجبين من قساوة قلبه ، وانحطاطه الى درك البربرية

حيث بزّ الوحوش الكاسرة شراسة وضراوة · وعندما وصل الموكب الى قمة هضبة عالية ، جثت بربارة على الأرض ،وضمت يديها الى صدرها على شكل صليب ، وحنت هامتها ، فتناول أبوها الفأس وهوى به على رقبتها وقطع هامتها الجميلة ، وناضت روحها الطاهرة الى السماء لتنضم الى أرواح الشهداء الذين أعطيت لهم ثياب بيضاء وقيل لهم لينتظروا ، تحت المذبح ، حتى يكتمل عدد الشهداء رفاقهم (رؤ ٦ : ٩ ـ ١١) ، فينالوا الجزاء ·

☐ هلاك ديوسقوروس والحاكم الطاغيين :

وأهلك الله تعالى ديوسقوروس والد القديسة الشهيدة بربارة وهو في طريق عودته الى المدينة اذ انقضّت عليه صاعقة فأحرقته بنارها كما أحرقت في الوقت ذاته مرقيانس حاكم نيقوميدية ، فاستولى على الناس خوف عظيم ومجدوا اله القديسة بربارة ، وآمن به جمع غفير · وكان ذلك عام ٢٣٥م وأخذ المؤمنون جسدها الطاهر ودفنوه باكرام وقد نقل رفاتها بعد أجيال عديدة الى مصر وهو الآن في كنيسة القديس أباكير(٤) وتعيّد لها الكنيسة في ٤ كانون الأول ·

★ ★ ★

---

٤ ـ السنكسار القبطي الأرثوذكسي ـ القاهرة ١٩٣٥ اليوم الثامن من شهر كيهك المبارك المصادف ٤ كانون الأول السرياني · انظر أيضا سنكسار الروم الكاثوليك طبعة حريصا مج ١ ص ٣٢٤ ـ ٣٣١ وتقديس السنة المسيحية طبعة الموصل ١٨٩١ مج ٢ ص ٧٥٢ ·

فهرس

	ص
ـ تمهيد ـ التأمل بقصص القديسين	٥
ـ قصة أهل الكهف في المصادر السريانية	١٣
ـ قصة مار نيقولاوس أسقف ميرا المعروف بين القديسين السريان بمار زوخي	٣٤
ـ قصة القديس أنطونيوس الكبير أبي الرهبان وكوكب البرية	٤٤
ـ قصة مار ابراهيم القيدوني أحد نساك المشرق الشهيرين	٦١
ـ القديسة مريم المصرية	٧٤
ـ القديس موسى الحبشي	٨٤
ـ القديسة الشهيدة بربارة	١٠٢

مطابع الف باء - الأديب
دمشق

رائحة المسيح الذكية